إهداء:

إلى أبطال روايتي الذين عاشوا و عانوا معي كثيراً، الذين تحملوا نقاشي معهم كل ليلة في مصيرهم

الذين تحملوا مناقشتي الفظة و جنوني أحياناً.

أرجوكم لا تسامحوني.

سادي

الفصل الأول

قطرات العرق و الدموع الساخنة مختلطة بدمائه تزحف ببطء على بشرته، رائحة عطر أنثوي طاغي دثر رائحة الدم الذي يسيل ، صوت بكاء ذكوري مكتوم يهتز عند كل طرقة بالنصل على الخشب، حركة قدم رتيبة كل ثوان لتلك الأنثى التي تواريه ظهرها العاري ممسكة بسكين تقطيع اللحم، إنعكاس الضوء الأصفر للغرفة على شعرها الأحمر جعله ذو لمعة نبيذية تضيف وقعاً مرعباً، طرقت بالنصل على خشب المنضدة أمامها فأنتفض الرجل المقيد بالمقعد خلفها ، رفعت يدها بالسكين في الهواء ثم إلتفتت تنظر إليه قبل أن تطعن خشب المنضدة بعنف ليزداد الرجل أنين و يقول شيئاً لم تلتقته أذنيها بسبب الشريط اللاصق الذي جعل الحروف تتعثر أثناء الخروج من فمه ، رفعت يدها مرة أخرى و عدلت وضع السكين قبل أن تلتفت له بكامل جسدها، الإضاءة السيئة و شعرها المبعثر على وجهها نجحوا في إخفاء ملامحها إلا أنهم لم ينجحوا في تشتيت جمالها الذي أعلن عن نفسه بغرور في منتصف تلك اللوحة الدامية، نصف أبتسامة خرجت من شفتيها الحمرواتين جعلته ينتفض و يصرخ كمن لدغه عقرب.. بإيقاع هادي تحركت في كعبها العالي الذي عزفت طرقاته على الأرض لحناً جعله يصرخ مستنجداً كمن وجد نفسه وجبة في وعاء أسد، تحركت فتحركت عينيه معها حتى إختفت عن بصره لتقف خلفه.. أمسكت شعره الطويل المبعثر بيسراها جاذبة رأسه للخلف ثم بيمناها خطفت النصل على رقبته لينسل الخيط الأحمر الذي ما لبث أن تحول لشلال دم غطى صدره فالأرض.. طرقت بكعبها العالي حتى وصلت للمنضدة فوضعت عليها السكين بهدوء ثم جلست على كرسي مقابل له و عبثت بهاتفها لتنبعث منه اغنية cool hearted Women للمغني Chis Bell و على نغمات الأغنية خلعت حذائها و نهضت تخطو خطوات إيقاعية أشبه بالرقص ، إقتربت بوجهها من وجهه و إبتسمت و إشتمت رائحة الدم في غنج ، قبل أن تخلع الشعر المستعار و تتراقص و هي تلقي به على المنضدة، ثم تخلع الفستان عاري الظهر و تلقي به على المقعد ، تتراقص و تتراقص حتى تقف تحت دائرة ضوء المصباح لتظهر حقيقتها.. تلك الجميلة ذات الفستان و الشعر الأحمر و الكعب العالي ما هي إلا ذكر متنكر.. إنتهت الأغنية و تصاعد صوت أخرى فألتقط حقيبة ظهر من الأرض و أخرج منها قفازان و محقن و أمبول قابل لإعادة الملئ و عبوة بها سائل ما .. أمسك بالمحقن و سحب نصف سنتيمتر من الدم و أفرغه بداخل الأمبول الذي يحوي دماً سابقاً ، إلتقط جردلاً حديدياً و أفرغ العبوة على الأرض و على الدماء التي مازالت تتسع لتتسرب إلى أنفه رائحة خافتة عكرت صفاء الرائحة المعدنية للدم ، دقائق و هو يتراقص حتى بدأ الدم يبقبق بسبب فقاعات الغاز التي تنفجر منه بسبب السائل، إرتدى قفازاته و أزاح الجثة في ركن الغرفة و أخذ يمسح و ينظف الدماء ، نصف ساعة و أنتهى و هو حريص على عدم سقوط نقطة عرق واحدة أثناء الحركة ، رفع الجثة التي توقف سيل دمها تماما و لفها في عدة أكياس سوداء و لاصق قوي لا يزال بسهولة قبل أن يخرج كيساً صغيرا يحمل أتربة منزلية .. وضعه على الطاولة على بعد صغير من مروحة المكتب و ثقب الكيس بسكين صغيرة و رفع الجثة على كتفه و خرج بها.. دقائق و عاد ليحمل الكيس و يغادر..

****

كافيه توباكو، أحد أرقى كافيهات مدينة نصر.. عملائه الدائمين هم صفوة الشباب.. يتميز بأنه على الطراز القديم.. فلا يوجد به أي مظهر من مظاهر التكنولوجيا.. ديكواراته راقية و الوانه مبهجة ... لا يوجد به شاشات عرض للمباريات الهامة.. لا يوجد به ماكينات تصنع القهوة و المشروبات.. لا يوجد به كاميرات مراقبة.. لا يوجد به نظام صوتي متطور.. لا يوجد به غير المقاعد و الطاولات الجميلة و الديكورات الرائعة .. حتى كل المشروبات فيه تصنع يدوياً... تستطيع ان تقول انه مصمم لاجبار رواده على التواصل البشري الحقيقي...يمكن لاي احد من رواده استخدام معداتهم التكنولوجية بحرية.. كالهواتف و سماعات الراس و الحواسيب المحمولة .. لكن المكان لا يعتمد عليها في اي شئ..

تقدم النادل إلى "فودكا" أحد رواد الكافيه ليسألها عن طلبها فقالت:

- تفتكر هطلب إيه يا خالد؟

و قالت قبل أن يجيب:

- بابونج يا خلودة.. اول ما تشوفني كدة داخلة من باب الكافيه تجري تعملي البابونج بتاعي.... بعد البابونج نبقى نتكلم في هشرب ايه تاني.

قال مبتسماً:

- تحت أمرك يا فندم.

هم بالمغادرة لكنها إستوقفته قائلة:

- بقولك إيه هادي مجاش؟
- للأسف بقاله كام يوم مبيجيش في الشيفت بتاعي.. مش عارف بييجي بقى في الشيفت التاني ولا لا..

شردت "فودكا" فقال:

- بس هسال حد من الشيفتات التانية
- لأ متشغلش بالك إنت .

في توباكو تستطيع سماع الناس من حولك دائما يتحدثون و يهمسون و يضحكون كما تستطيع سماع صوت ملاعقهم تطرق الأطباق و أكوابهم تصدم خشب الطاولة.. و هواتفهم تسقط على خشب الأرضيات.. ضوضاء لطيفة محببة تشعرك بالحياة ولا يعكرها صوت ... شردت "فودكا" في ملكوت مختلف حتى قطع حبل أكارها "خالد" النادل قائلاً:

- البابونج .

قالت فودكا بإستنكار:

- هو أنا في قهوة بلدي؟ البابونج؟ مالكيا خالد ما تحطه و تمشي.

بدى متردداً و هو يقول:

- بس أصل...
- قول إخلص.

قال بإحراج:

- الأستاذ اللي على ترابيزة 8 باعتلك دي

مد يده بورقة خط عليها أرقام هاتف ، فأكمل "خالد::

- و بيقولك هو اللي هيحاسب عالينسون دة و الكابوتشينو اللي هتشربيه معاه كمان شوية.

نظرت للطاولة التي تحمل رقم 8 فوجدت شاب من الأوليمب، وسيم لدرجة تقشعر الأبدان، ذو جسد رياذي متناسق ، يرتدي قميصاً ضيقاً أظهر عضلات بطنه الستة بوضوح، بشرته بيضاء كأسنانه التي ظهرت و هو يبتسم لها، و شعره كستنائي ثائر

فوق رأسه، أمامه هاتف I Phone 11 و مفتاح سيارة BMW و يرتدي ساعة فخمة بمبلغ ضخم، أطلقت " فودكا" صافرة إعجاب عالية ثم قالت لخالد دون أن تنظر له:

- طب إمشي إنت.

نهضت بإتجاهه فإتسعت إبتسامته ظاهرة صفوف أسنان تراصت بعناية قبل أن تقول فودكا بصوت عالي:

- بص هو أنا كنت هعاملك زي أي عيل عبيط عايز يشقط و أعمل نفسي مش شايفاك ، لكن اللي قومني و هيخليني حالاً أفرج عليك الناس هما حاجتين... Actully هما 3 حاجات..

إختفت إبتسامته و ظهر الذهول على ملامحه و هو لا يجد كلمات و قد إحمر وجهه الأبيض بينما تشاهد الناس:

- أولاً عشان الحركة القديمة البلدي البيئة بتاعة الورقة و رقم التليفون ثانياً عشان الايفون و البي إم اللي حاططهم في وشي آل يعني هنبهر ..

صبغت بشرته بالأحمر الدامي و هو يراقب أعين الجميع دون كلمة ..

- ثالثاً بقى...

إقتحم شاب الموقف بجانب فودكا قائلاً:

- ثالثاً و الأهم.. دة بابونج مش ينسون.

و رشف من كوب البابونج الخاص بفودكا الذي كان يحمله، ضحك الجميع فقذفت فودكا بنفسها بين أحضانه قائلة:

- إنت فين يا عم هادي وحشتنا.
- واضح... بامارة الراجل اللي..

نظر في إتجاه الراجل فلم يجده.. كأن الأرض قد إبتلعته ، نظر إليها واضعاً يده على كتفها قائلاً:

- يا عيني يا أبني، الواد مستحملش...

قالت ضاحكة و هم يعودون لطاولتها:

- ما هو ساب كل مزز المكان و سكته جابته في طريقي أنا يستحمل..

سحب لها الكرسي فجلست و هو يقول:

- مهو إنتي شكلك و ستايلك مختلف عنهم كلهم فيشد العين..
- إيه رأيك بقى إن شكلي دة أنا أصلاً عاملاه عشان أبعد الأشكال دي.

نظر لها متأملاً، شفاه مصبوغة باللون الأسود، الكحل الفاحم. و الحلقات المعدنية التي تخترق حاجبها الأيمن و أنفها و لسانها، شعرها الأسود القصير ذو الخصلة البنفسجية، القميص الأسود المفتوح و التوب الرمادي أسفله و بنطلونها الجينز الضيق ذو الفتحات الكثيرة و البوت الأسود الطويل ، تلك الملابس التي لا ترتدي غيرها كأنها لا تملك سواها.. و ذلك الإسم الذي تصر أن تخبرنا أن لا أسم لها غيره " فودكا" من بحق الجحيم يملك إسم كهذا؟ و لماذا؟ لماذا تفعل فتاة مثلها ما فعلت؟ ماذا رأت و ماذا فقدت حتى تدفن نفسها بتلك الطريقة ؟ فبالرغم من كل ما فعلته في وجهها مازال يحمل جمال براق و نظرة بريئة لا تخلو من المكر و الدهاء ..

قال مقاطعاً:

- طب و ليه كل دة؟

إبتسمت قائلة:

- بيقصر عليا حاجات كتير..
- إزاي؟
- مش وقته، قولي.. كنت مختفي فين الأيام اللي فاتت دي؟

******

دخل المبنى يمد في خطوته دون إلقاء اسلام على أي أحد و لم يعر إنتباهه كل من وقف لتأدية التحية له، لم يركب المصعد بل هرول على درجات السلم و في الممر حتى وقف أمام المكتب، وقف لثانيتين عدل من وضع ملابسه و هيئته ثم طرق الباب بثلاث طرقات فسمع الصوت سامحاً له بالدخول، فتح الباب و دلف ناظراً في للأرض أمام هيبة اللواء مراد هاشم، قال الأخير:

- تعالى يا رأفت، أقعد..

تحرك المقدم (رأفت الشيخ) ليجلس أمامه فقال مراد:

- أنا لما قولت أنك إنت اللي تمسك القضية دي كان سببي واضح، و هي ثقتي فيك و في قدراتك و إلتزامك..
- إن شاء الله أكون عند حسن ظن سيادتك.
- خد بالك من أخطاء عمر الرفاعي و إقرا تقاريره اللي كتبها من أول ما مسك القضية لحد ما سحبتها منه.
- أوامرك يا فندم.
- مش محتاج أقولك يا رأفت أهمية القضية دي، أنا عايز القضية دي تتحل قبل ما حد تاني يتقتل.
- تحت أمرك يا فندم.
- عايز أسمع أخبار كويسة ... بسرعة.
- أوامرك يا فندم.
- تقدر تتفضل.
- بعد إذنك.

خرج رأفت من المكتب بملامح صارمة ، يعرف أنه قد حل الكثير من قضايا السفاحين، لكن قلبه لا يرتاح لتلك القضية ، إثنا عشرة ضحية من الذكور البالغين قتلوا بطرق مختلفة ، لكن خبرته تؤكد أن هناك الكثير من الضحايا الذي لا يعرف عنهم أحد شيئاً, غير أنه من المعتاد في تلك القضايا أن تكون الضحايا من الإناث أو الأطفال أو حتى المراهقون، لكن رجال بالغون عاقلون قادرون على المقاومة و حماية أنفسهم فذلك لا يحدث إلا نادراً جداً و من الصعب على قاتل واحد أن يقتل هذا العدد من الرجال دون أي دليل رغم أنه لا يتكلف عناء إخفاء الجثة أو حتى مسح أثرها.. يقتل الرجل و يتركه بدمه في مسرح جريمة أبشع في كل مرة... دون بصمة له، دون رمش سقط سهوا، دون قطرة عرق، دون خدش ترك بقايا جلدية بين أظافر الضحية، إثنا عشر رجل تم قتلهم بوحشية و دقة بالغة.. دون علامات ضرب على الجثث إثر مقاومة.. دون علامة لمحقن، دون أثر لمخدر في الدم، دون علامات حبل على الجسد.. لا شيء ! كيف يعقل هذ..!

دلف إلى مكتبه شارد و ألقى بجسده على المقعد ، أشعل سيجارته و نفث دخانها ببطء ثم أغمض عينيه للحظات و نهض فجأة بنشاط ليمسك بالملف الأول ضمن الكثير من الملفات الضخمة على مكتبه التي تخص القضية

***

أدار هادي المفتاح داخل المزلاج لينفتخ باب شقته، شقة فخمة تدل على ثراء كبير، ديكور كئيب و ألوان داكنة مسمطة لكن المكان كان مرتباً أكثر من اللازم ، وضع ما بيده على المنضدة من حقائب تحمل حاجيات المنزل من معلبات و منظفات و غيرها، ثم بحث بين الأدراج حتى وجد مفتاح مخفي بعناية، إتجه لباب غرفة و أدار المفتاح بداخله لتتسرب رائحة الفورمالين المزعجة، بخار يتمشى داخل ظلام الغرفة دلف إليها و أغلق الباب ثم ضغط على مفتاح الكهرباء لتنشر الضوء كاشفاً عن كابوس حي.. منضدة تحمل سكاكين تشريح و تقطيع و فصل بجميع الأشكال و الأحجام بجانب كل ما يصلح لقتل كائن حي من منشار يدوي و ساطور و منشار آلي دوار و مقص أعشاب و مقص حداد و أدوات كل الصناعات التي تصلع للتقطيع، و حائط يحمل صوراً لأجساد مقطعة و لحوماً آدمية ممزقة بوحشية، و منضدة صغيرة تحمل زجاجات بداخلها سوائل كيميائية عديدة ، و علب متنوعة من أدوية التخدير و المحاقن، أمسك بصندوق خشبي صغير و فتحه لتظهر العديد من أمبولات الحقن القابلة لإعادة التعبئة، بداخلها سائل أحمر أقرب للدم البشري، و أخرج من جيبه أمبولاً به دماء آدمية ثم أمسك بمحقن يحمل سائل أزرق و أضاف منه قطرتان على الدم بداخل الأمبول ثم وضع الأمبول في الصندوق مع الباقين و أحكم غلق الصندوق و أعاده لمكانه ، قبل أن يمسك بجهاز لوحي و يضغط عليه عدة ضغطات لتظهر صور تم إلتقاطها دون علم صاحبها، في أيام و أماكن مختلفة بنشاطات مختلفة، صباحاً و ليلاً ، في السيارة و المطعم و المقهى و الشارع، يدخن و يتحدث في الهاتف و يراجع أوراق و ينظر في الساعة ، هادئ و يجز أسنانه و يتحدث بعصبية و يبتسم، يأكل و يعمل و يمشي و و يسأل و... يمارس الجنس.

صورة تجمعه بزوجته في مطعم فخم، و عدة صور له يمارس الجنس مع أخريات، منهم ثلاث مرات مع ثلاث إناث مختلفات في كل مرة داخل سيارته ليلاً في مكان مظلم! صورتان يظهرا إنعكاسه مع فتاة أخرى في زجاج دولاب مكتبه تم إلتقاطها من مبنى مقابل، و عدة صور له يجلس في بار فندق فخم مع أجنبيات...

ترك هادي الجهاز اللوحي و إتجه لدولاب في ركن الغرفة ليفتحه و يخرج منه شعراً أحمر مستعار ، و فستان قصير عاري الظهر، و حذاء ذو كعب عالي رفيع ، ثم خذ أمبولاً به قطرات دماء بشرية و آخر يحوي سائل بني اللون، و محقنان و وضع كل ذلك في حقيبة ظهر و خرج من الغرفة، إلتقط مفاتيحه و هاتف قديم الطراز قبل إختراع الهاتف ذو الكاميرا و الإنترنت، غادر المنزل.

***

يجلس هادي في أحد بارات الفاخرة متنكراً في زي الأنثى واضعاً الشعر المستعار شديد الحمرة على رأسه واضعاً على وجهه مساحيق التجميل، مظهره يجعلك تقسم أنه أنثى مثيرة، إقترب منه الرجل صاحب الصور و جلس بالمقعد المجاور، طلب لنفسه كأس فودكا مارتيني و نظر لهادي مبتسماً و قال:

- بقى في واحدة جامدة أوي كدة تقعد في مكان زي دة لواحدها؟

نظر له هادي بنظرة أنثوية مثيرة و قال بصوت أنثوي:

- عشان مفيش راجل عدل أقعد معاه..
- أكيد محدش فيهم عنده نظر.

وضع هادي سيجارة بين شفتيه فمد الرجل يده ليشعلها قائلاً:

- و القمر إسمها إيه؟

نفث هادي دخان السيجارة بغنج:

- إسمي لي لي

***

شعر ببرودة تعتري جسده بالكامل ، فتح عينه بثقل فوجد سقف غرفة نومه يدور، أغمض عينه لثوان ثم فتحهما ليجد وجه الفتاة ينظر له في تحدً، حاول الكلام فلم يستطع قبل أن يدرك ذلك الخدر الذي أعجزه عن تحريك لسانه، حاول النهوض فلم يستجب جسده، حاول تحريك ذراعه بلى جدوى، قدمه، أصابعه، كل أمر يأمره لجسده يعود إليه خائب الأمل، جسده تمرد عليه بطغيان جعله يستشيط غضباً ، إبتسمت الفتاة بأسنان ناصعة البياض و نغزة في الخد الأيمن، قالت الفتاة:

- متخافش، إنت مش هتقدر تتكلم، ولا تتحرك، طبعاً إنت بتسأل إنت إزاي جيت هنا و فين مراتك و ولادك؟ و أنا مين و بعمل كدة ليه فيك؟ أنا عارف كل اللي عايز تقوله، بس مش هجاوبك، هسيبك شوية لحد ما تفهم لواحدك .. و لو فهمت هسيبك، لو مفهمتش بقى...

لوحت بسكينة لحم كبيرة أمام وجهه فإنتفض رعباً و رسمت ملامحه أعتى علامات الفزع، إنسحبت الفتاة من أمامه و هو ينتفض لا إرادياً ثم تسربت إلى أذنه ألحان أغنية Cool Hearted Women ثم عادت الفتاة إلى مجال بصره قائلة:

- الأغنية دي هتكون أخر حاجة إنت سمعتها من على موبايلك .. أتمنى تساعدك تهدى و تركز و تستنتج إنت هنا ليه، أو...

و ضربت بالسكين على خشب الكمود فأنتفض الرجل رعباً و قد بدأ يفهم.. دقائق مرت عليه دهراً حتى ظهر صوته مكتوم بسبب قطعة القماش التي تلجم فمه و تجففه من مائه و تعترض طريق الكلمات، نظرت له الفتاة في إمتنان قائلة:

- برافو.. كدة أنا أسيبك.

فتحت الفتاة أنبوب الفريون موجهة فتحة الأنبوب لجزعه فإنطلق الفريون البارد يجري على جسده باثاً برودته في كل خلية مما جعله يئن و يصرخ ثم يسعل و ينتفض بينما وقفت الفتاة في ركن من الغرفة تشاهده في إستمتاع قبل أن تخلع الشعر المستعار و الملابس و تصبح هادي في هيئته العادية، ظل يشاهد بتركيز بينما يبدل ملابسه حتى شاهد رعشة الموت و شعر بالروح تغادر جسده مضطربة غاضبة باردة، بينما ظل الجسد ساكناً يحمل زرقة الموت و البرد ، إقترب هادي و نظر لوجه الضحية بخليط من الغضب و الغل و متعة ، أزال عن فمه ما لجمه و عدل من وضع جسده ثم خرز المحقن بين أصبعي قدمه و يسحب مليمترات الدم بصعوبة و يفرغ المحقن داخل الأمبول قبل أن يحمل أنبوب الفريون الفارغ و يغادر ثم يعود ليجرد الجثة من الملابس و يغطيها بلحاف حريري أحمر ، و يترك شعرتين من الشعر المستعار على الوسادة بجانبه و يأخذ كل ما لا ينتمى للغرفة و يرحل في هدوء

***

ترك رأفت الملف الأخير من يده و هو بشعر بالدم يطرق رأسه بعنف، أمسك علبة سجائره ليجدها قد فرغت فألقى ببصره إلى منفضة السجائر فوجدها متخمة بالأعقاب ، نهض بغضب و ظل يدور في الغرفة في حيرة و يحاول ترتيب الأوراق المبعثرة في ثنايا عقله و يفك تشابك العقد و الخيوط لكن بلا جدوى، فقط إرتفع ضغط دمه و عقله كاد بنفجر من الطرق داخله حتى سمع طرقاً على الباب:

- أدخل.

مهرولاً دخل شخص ما يحمل رتبة ملازم أول قائلاً بأنفاس متقطعة و قلب يركض:

- إلحق يا باشا، السفاح قتل تاني.

***

حاول الملازم" أحمد العلايلي" عدم التقيؤ من هول المنظر، أشاح بوجهه في إشمئزاز كاتماً أنفاسه بينما تقدم "رأفت" مدققاً في التفاصيل، الضحية ذكر بالغ .. هذا ما تبين من النظرة المدققة الأولى للجثة، أو ما تبقى منها ، فالمنظر بإختصار عبارة عن حمام دم و أشلاء منتشرة في المكان بشجل يجعلك تقسم أن ذلك الرجل إنفجر من الداخل، لكن بعد الشواهد البسيطة تعلن عن جريمة جديدة للقاتل ذاته.. لم يتمالك الملازم أحمد نفسه فركض لخارج مسرح الجريمة محاولاً السيطرة على ما في معدته حتى خرج للشارع التقطت أنفاسه بعناء ثم أشعل سيجارة نفس دخانها في الهواء قبل أن يسمع صوت "رأفت"

- متقلقش دة في الأول بس.

نظر له "أحمد" بعدم فهم فأشعل رأفت سيجارته هو الإخر و قال موضحاً:

- طول ما أنت في الإدارة هنا هتتعود عالمناظر دي،بعد كدة هيبقى طبيعي بالنسبالك مع الوقت.

نفث دخانه و إستدار ناظراً لأحمد قائلاً بحزم:

- خلص سيجارتك و حصلني.

إمتقع وجه "أحمد" و هو ينفث دخانه قبل أن يئد سيجارته و يعود لمسرح الجريمة مشمئزاً، فيجد أن رجال المعمل الجنائي قد إنتشروا يبحثون و يصورون و يفتشون في كل شئ، و شاهد " رأفت و هو يدور بينهم يراقب في صمت، الجميع يتعامل مع الدم و الأشلاء ببساطة كأنهم في ملاهي الأكوا بارك ، تأمل "أحمد" أفعالهم و تصرفاتهم بتلقائية في هذا المشهد المهيب ثم قال لنفسه و ماذا بعد، إذا كان عليك أن تعتاد كل هذا، فلتعتاده الآن.. و إنطلق يمسح المكان مع رجال المعمل الجنائي و المقدم رأفت.. لفت إنتباهه أحد رجال المعمل يقوم بتصوير قطع ممزقة بوحشية من كتف الضحية، لحمها ساخن و مازالت تقطر دماً، لكن ما هذا؟ هناك شيئاً ما داخل الأشلاء.. تحديداً بين اللحم و العظام

صرخ فيهم أحمد بالتوقف و ملاحظة ما يوجد داخل الأشلاء فتقدم" رأفت" و أنحنى يزيح اللحم المتساقط فوق ذلك الشئ و ينقب عنه حتى أخرجه.. لفافة من الورق ملفوفة في كيس بلاستيكي صغير ، تقدم إليه أحد رجال المعمل بالكيس المخصص لحفظ الأدلة لكن رأفت نظر إليه نظرة جعلته يتراجع قبل أن يفض ما بداخل اللفافة ، ورقة مكتوب عليها بدم بشري كلمة واحدة (هجيبك)

****

الفصل الثاني

إنتفض هادي لما سمع رنين هاتفه صباحاً، نظر لرقم المتصل بعين نصف نائمة قلقة ليجد أنه رقم غير مألوف، و لكن.. من يمكن أن يتصل به؟ هو الذي لا يعرفه أحد ولا يعرف رقم هاتفه.. و هذا ليس رقم أي شخص مألوف، أغلق المكالمة ثم عينيه ليكمل نومه لكن.. أعاد المتصل إتصاله ليخرج هادي من نومه مرة أخرى، اللعنة على صوت نغمات النوكيا المزعجة العالية، أغلق المكالمة و فعل وضع الصامت و كاد أن يغمض عينيه لكن أهتزاز الهاتف في يده جعله يستشيط غضباً و يرد المكالمة و هو مستعد لإخبار هذا المُلح أن الرقم خاطئ، وضع الهاتف على أذنه و كاد أن ينطق لكن سمع صوت رجل يقول:

- إزيك يا هادي

صمت للحظات محاولاً تبين نبرة الصوت و تمييز صاحبها ، محاولة تذكر كل من يعرف رقم هاتفه لكن بلا جدوى

- هادي...إنت سامعني؟
- مين معايا.
- بص إنت متعرفنيش، لكن أنا عارف عنك كل حاجة
- !!!!
- إعذرني عالجملة الكليشيه أوي دي بس ملقيتش طريقة تانية أقولها، خصوصاً انها حقيقية...
- واضح إن الرقم غلط

قال الصوت ضاحكاً:

- لا يا عم هادي غلط إيه هتزعلني منك، ولا أقولك يا لي لي عشان تصدقي إني عارفك كويس؟

إنتفض هادي في فراشه و قد إتسعت عيناه ذهولاً فقال صاحب الصوت:

- أيوة إتعدل كدة و إنت بتكلمني... أنا عارف كل اللي إنت فاكر إن محدش يعرفه عنك، كل اللي إنت بتحاول تخبيه ، و متخافش أنا مش عايز أستغلك ولا أهددك..
- أومال عايز إيه؟
- هكلمك تاني...

إغلق المكالمة وسط تخبط هادي و حيرته ، ظل ساكناً يحاول إستيعاب ما حدث و عقله يشت، آلاف الأفكار و الخيالات تهاجم رأسه و مليارات الأسئلة تبزغ وسط تيه أصابه مع غصة قلب و خوف من أعتى الدرجات، هل يعرف هذا المتصل عن ضحاياه؟ هل يعرف كم عددهم؟ هل يعرف أين تذهب أجسادهم؟ هل هو أحد أهالي الضحايا؟ هل يمكن أن يكون عابر شاهده بالصدفة و صوره؟ كيف حصل على رقم هاتفه؟ كيف عرف إسم لي لي؟ ماذا يريد؟ ماذا لو معه دليل على ما يعرفه؟

ظل يدور حول نفسه و يتخبط لثلاث ساعات عقله يخبره الاف الاحتمالات و يطعنه بالاف الاسئلة، قبل ان يهتدي إلى إستنتاج واحد هدأ من روعه قليلاً، مهما كان ما يعرفه هذا الرجل فهو بالتأكيد أجرى هذه المكالمة ليجعله يتخبط كما هو وضعه الان، فيجب عليه أن يهدأ و يفكر، ولا بعطي لتلك المكالمة أهمية حتى تحدث مكالمة أخرى..

أدار المفتاح و فتح باب الغرفة المخصصة لأدواته و معداته، إلتقط الصندوق و نظر إلى كل أمبول دم بتمعن و هو يتذكر صاحب كل قطرة.. نظر لمعداته و تحسس كل نصل و هو يتذكر كل من تسبب بنهابة أليمة له ، فجأة سمع صوت أطفال يتضاحكون من ركن منسي من عقله، ثم طفل يصرخ و هاجم النور عينه ليسقط مغشياً عليه .

***

للمرة الثالثة يضع فيها مصطفى اصبعه على جهاز تسجيل البصمة ولا يستجب، زفر في حنق و هو يضرب الجهاز بخفة قبل ان يضع اصبعه مرة اخرى ليسمع التنبيه (thank you) ، غادر الشركة بسرعة و هو يستعد ليوم راحة من مكالمات العملاء و مشاكل العمل، خرج من باب الشركة و هو يحيي (ربيع) فرد الأمن.. وقف على الطريق ينتظر أحد الميكروباصات المتجهة إلى مسطرد.. عبرت من أمامه الكثير من السيارات المتجهة لمسطرد لكن لا يوجد بها مقعد فارغ.. تعود مصطفى أن يقف منتظراً حتى يجد ميكروباص به مقعد فارغ لراكب غادر في منتصف الخط.. ركل حجراً بقوة و هو يزفر ملاً ليظهر على أول الطريق مايكروباص... أنتبه مصطفى و وقف مستعداً ليجد الميكروباص فارغ إلا من السائق.. أبطأ السائق سرعة السيارة لتتوقف بجانب مصطفى الذي قال:

- مسطرد؟
- بخمسة جنية
- ليه يا عم ما أنا بركبها بأربعة و نص كل يوم.
- هي بخمسة يا باشمهندس.. هتركب؟

للحظة فكر.. ثم فتح الباب و قفز في الميكروباص ليتحرك... فتح النافذة ليصطدم وجهه بالهواء و الضوضاء.. أخرج من جيبه ورقة ذات العشر جنيهات و ناولها للسائق الذي دسها فوق المذياع و أزاح السكين العسكري الكبيرة ليلتقط ورقة ذات الخمس من تحتها و يناولها له و على وجهه إبتسامة.. إبتسامة زفر

***

يشعر بدوار شديد كأن الغرفة بداخل إعصار، حاول فتح جفنيه ليجدهم بثقل فيل أفريقي، حاول تحريك ذراعه فأبى و أعلن العصيان، حاول إستيعاب ما حدث، حاول التذكر أين هو.. بدأت حواسه تعمل واحداً تلو الأخر.. كانت حاسة الشم هي الأولى.. تسربت رائحة العفن إلى أنفه.. تم فتح عينيه بصعوبة ليستوعب.. هادى ملقى على أرضية غرفة القتل.. حاول تذكر ما حدث فبدأت ذاكرته تنتعش.. لقد رآه!... بعد تلك السنوات رآه مجدداً.. تحامل على أعصابه الواهنة و نهض.. خرج إلى غرفة نومه و أمسك بالهاتف يستدعى آخر رقم .. موجود فعلاً! إذا تلك المحادثة حدثت بالفعل.. هناك من يعلم عنه و عن ضحاياه و حتى عن طريقته.. إستسلم لشعور أن ما سوف يحدث له أياً كان فهو يستحقه و ينتظره منذ قتلته الأولى.. لكن.. ما الذي يجعل شخص يعرف كل ذلك أن يخبره أنه يعلم... لو يملك دليل حقاً لقدمه للسلطات فور العثور عليه.. إنه بالتأكيد يريد شئ.. و مهما كان هذا الشئ فسيكون خيط يوصله له.. و حينها سيكون هو ضحيته الجديدة... سمع جرس الباب !

ما هذا اليوم الغريب.. من الذي يرن جرس بابه .. من يعلم أنه يسكن هنا؟ و ماذا يريد؟ ... خطر له هاجس فإتجه مسرعاً إلى الباب و فتحه و وجد فعلاً ما خطر بباله.. لا أحد.. فقط شئ ما ملفوف بورقة مكتوب عليها (خاص لي لي)

خطف اللفافة مغلقا الباب خلفه و وقف ليفرغ ما فبها و وجد ما كان في عقله.. إسطوانة مدمجة .. ركض إلى أحد الغرف و فتح لابتوب عتيق أوصله بالكهرباء مغذياً.. و أدخل القرص عليه و إنتظر.. دقائق و ظهر أمامه برنامج غريب.. و ظهر وجه الأرنب (باجز باني) يضحك و يقضم جزرة ثم تغيرت واجهة البرنامج لفيديو .. فيديو لفتاه تذبح شخص ما ثم تتراقص و هي تخلع فستانها الأحمر لتظهر بجسد رجل.. ما هذا! كيف تم تصويره؟ كيف ترك دليلاً خلفه؟ و أي دليل! إنه دليل قاطع! دليل يخضعه تحت أمرة ذلك الشخص إلى الأبد.. إن ذلك الشخص يعلم جيداً ماذا يفعل و يعلم أنه يملك هادي الآن.. ظل هادي مشتتاً مرتعداً حتى إختفى الإطار العارض للفيديو و ظهر و ظهر طار آخر... إطار أسود فارغ إلا من ثلاثة نقاط تئن...

إنتبه هادي للثلاث نقاط بتركيز ليظهر على الشاشة (إزيك يا هادي)

قرأها هادي بعدم فهم لتظهر كلمة أخرى.. (أنا اللي كلمتك في التليفون، أنا شايفك و سامعك كويس)

إعتدل هادي في جلسته و حاول رسم الثبات على وجهه قائلاً:

- أيوة إنت بتعمل كل دة ليه؟ عايز إيه مني؟
- الأول أعرفك بنفسي، أسمي علي، شخص ممكن يغير حياتك.
- هات من الأخر و قولي المطلوب...
- عايز أشاركك.

***

رنين الهاتف إنتزعه من نومه، بعقل نصف نائم أجاب:

- ألو.
- ضحية جديدة للسفاح يا فندم.

إنتفض (رأفت) من مكانه قائلاً:

- فين؟
- 15 شارع عماد السيد في مسطرد.

نهض و إلتقط ملابس كاد يسقط عدة مرات و هو يرتديها مسرعاً ثم قفز في سيارته ، نصف ساعة و ترجل منها في العنوان ليستقبله الملازم (أحمد) ، تحركا إلى موضع الجثة ليقول رأفت:

- إيه اللي نعرفه؟
- إسمه مصطفى عبد الكريم السيد ، موظف مبيعات في شركة العبد للقماش، التحريات بتقول انه خرج من الشغل في معاده و كان في طريقه للبيت اللي على بعد 3 شوارع من هنا...

نظر (رأفت) إلى الجثة على الأرض.. أو ما بقى منها.. إن ذلك السفاح يزداد عنفاً بحق.. تلك المذابح لا تنتج إلا عن شخص مختل حقاً، و ليس أي إختلال، إنه جنون بلا أي ذرة رحمة... قال (رأفت):

- و كالعادة مفيش ولا دليل.
- لقينا ورقة تانية...

إنتبهت حواس (رأفت) دفعة واحدة و أحمد يضع في يده ورقة صغيرة مكتوب عليها بدم بشري، قرأ رأفت ما كتب عليها بصعوبة ليجد (المرة الجاية برقابتك إنت)

***

قرأ هادي الرسالة مرة أخرى بعدم فهم

- أنا عايز أشاركك

تلفت حوله في حيرة و قال:

- مش فاهم؟
- عندي القدرة أخليك توفر نص المجهود اللي بتعمله مع كل ضحية، و اوصلك لضحايا أكتر

- أنا فعلا مش فاهم.
- إنت مبتقتلش و خلاص، إنت بتنقي كويس كل ضحية و بتراقبه و بتصوره ، و بتقعد كتير تدور و تحاول و تلاقي داخلة تدخله منها.. أنا هوفر عليك كل دة
- إزاي؟
- سمعت عن الدارك ويب؟
- أيوة بس إيه دخل الدارك ويب باللي بعمله؟
- أنا بقالي سنين بدخل عالدارك ويب و بشوف بلاوي.. طورت من نفسي لحد ما بقيت بقدر أدخل عالداتا بتاعة أعتى المواقع و أوصل لمين اللي بيديرها و أعرف كتير عنهم.
- أيوة و دة هيساعدني إزاي؟
- أصحاب مواقع الإغتصاب و جنس اللي تحت السن و الأطفال و الكل مواقع الجرايم الجنسية

إرتسمت ملامح الذهول على وجه هادي لتظهر رسالة أخرى:

- إيه؟ كنت فاكر إن صعب حد يعرف إيه النمط بتاعك؟ إنت بتقتل كل اللي بيرتكب جرايم جنسية... مش عارف ليه إختارت النوع دة بالذات بس كل اللي أقدر أقولهولك إن ضحاياك ملايكة جمب اللي عالدارك ويب.. أنا بقى هوفرلك كل المعلومات اللي هتوصلك لكل واحد و هسهل الموضوع عليك.. و قبل أي حاجة هوريك دلايل عشان تبقى مقتنع..
- و المقابل؟
- أشوفك و إنت بتنفذ كل مرة
- تـ.. شوفني؟
- مش هبقى معاك في نفس المكان.. كل مرة هيبقى معاك كاميرا تحطها في مكان مغطي الموضوع كله.. ألكاميرا دي هتخليني أتفرج على اللي بيحصل في الخنازير دول بالتفصيل.
- دة ليه؟
- المتع نسبية.. في ناس متعتها تحس بالخطر، في ناس متعتها تحس بالألم، في ناس متعتها تتهان، في ناس متعتها تقتل.. أنا متعتي إني أشوف.
- دة بس المقابل؟
- و مفيش مقابل غيره

الآن يفهم، الإن يدرك ماذا يريد هذا المختل، هل سيفعل هذا؟ بالتأكيد سيفعل.. إن ذلك الشخص معه مقطع مصور له و هو يقتل... كما أن الموضوع ممتع.. ممتع بشكل لا يصدق.. حاول كتم الحماس في صوته و هو يقول:

- طب كان إيه لازمة الدخلة دي و المكالمة و الفيديو؟
- حبيت بس أوريك أنا أقدر أعمل و أوصل لإيه.. مهما كنت حذر و بتاخد بالك.. دايماً في حد شايف

حسناً المشكلة ستكمن أنه بدلاً من أن يملك له مقطع واحد سيملك الكثير من المقاطع القادمة.. لكنه لا يملك رفاهية الرفض فذلك الشخص يملك المقطع الأصلي سلفاً.. نظر للشاشة فوجد علي يكتب:

- بس عندي شرط
- خير
- هتلبس قناع و إنت شغال.. مش هستحملل أشوف عينك و نظرتها و تبوظ عليا متعة اللي بيحصل في الفيديو
- خلينا نتكلم عن الموضوع دة بالتفصيل لما أشوفك.

ظلت الثلاثة نقاط تئن لثوان قبل أن يظهر على الشاشة:

- بس إنت عمرك ما هتشوفني.

****

الفصل الثالث

غرفة مكتب مظلمة إلا من الضوء الذي تسقطه شاشة الكمبيوتر على الشخص الجالس على المقعد أمام المكتب، رجل بدين يجلس عاري الجزع و يشاهد ما يعرض على الشاشة بتركيز و هو يتصبب عرقاً، على الشاشة يعرض بث مباشر على أحد مواقع الدارك ويب.. موقع يحمل إسم (Red Room+) ، في البث تظهر غرفة مضاءة بضوء أحمر غير مريح، في منتصفها يوجد فراش حديدي قذر يحمل فوقه فتاة فاقدة للوعي، يحمل جسدها آثار كدمات و سحجات و جروح في طور الإلتئام و جروح حديثة لم تلتئم بعد، و بقعة دماء كبيرة جفت على الفراش المتسخ، و منضدة في الركن تحمل كل ما يصلح للتعذيب.. ينظر الرجل أمام الشاشة تلك الفتاة باشتهاء و عينه على العد التنازلي الذي يتوسط الإطار و هو في الثوان الأخيرة، ثم إعتدل في جلسته مستعداً لبدء البث... ثلاثة.. إثنان.. واحد..

دخل إلى نطاق الفيديو رجل ضخم يرتدي قناع على شكل خنزير قذر... نظر للفتاة فاقدة الوعي ثم تقدم عدة خطوات إلى الشاشة و نظر للكاميرا التي تنقل ما يحدث.. لينفتح مربع أسفل إطار البث للرجل الجالس أمام الشاشة يمكنه من كتابة و الإرسال إلى الخنزير، مد يده للوحة المفاتيح و كاد يكتب لتظهر رسالة أمامه (500 بيتكوين لإكمال المشاهدة، 1500 بيتكوين للمشاركة بطلبات خاصة من المرحلة الأولى ، 3000 بيتكوين للمشاركة بطلبات خاصة من المرحلة الثانية ... 10000 بيتكوين للمشاركة بطلبات خاصة من المرحلة الثالثة... 100000 بيتكوين للمشاركة VIP) نظر الرجل للشاشة و هو يلهث و يتصبب عرقاً.. أخذ ثانيتين تفكير قبل أن يضغط على الاختيار الثاني.. إنفتح له إطار الكتابة ليجد ان هناك من سبقه و طلب بضعة طلبات من المرحلة الأولى (إخلع ملابسها، إضربها بعنف حتى تظهر الدماء، أجلدها بالسوط، إنزع أظافرها، ...)

و الخنزير ينظر للطلبات و مع كل طلب يتحرك لينفذه ثم يعود لتلقى الطلب الذي يليه بلا رحمة.. و بلا تردد.. و الفتاة تصرخ و تئن و هو لا يبالي... زادت أنفاس الرجل أمام الشاشة و هو يشاهد منتظراً حتى فتحت الطلبات من المرحلة الثانية و ضغط عدة أزرار كاتباً (إقطع أثدائها) لتظهر رسالة الخطأ (طلب من المرحلة الثالثة) ثم تظهر رسالة (هل تريد أن تملك صلاحية الطلبات من المرحلة الثالثة و تحويل 10000 بيتكوين؟) بدون تفكير ضغط على زر تحويل لتظهر رسالة أخرى (لقد طلبت أمر من المرحلة الثالثة في مرحلة اخرى.. تلك خاصية مقتصرة على الـ VIP هل تريد الحصول على ميزات VIP و تحويل 100000 بيتكوين؟) ضغط الرجل على رفض بقلة صبر لتظهر الشاشة أمامه ، وجد الفتاة تنزف من عدة مواضع و الخنزير يقف منتظر للطلب التالي.. طلب من المرحلة الثالثة.. ليدفع الرجل على المكتب يضغط الأزرار و يكرر طلبه (إقطع أثدائها) و بدأت تظهر طلبات المرحلة الثالثة.. المرحلة الأبشع التي لا تنتهي إلا بموت الضيف كما يطلقون عليه ظل الخنزير ينفذ ما يطلب منه و يعود حتى أصبحت الفتاة كخرقة بالية لا تصلح لشئ ، لم تعد تصرخ، لم تعد تئن، لم تعد تتألم.. ليظهر على الشاشة طلب أخر (إغتصبها بعنف) نظر الخنزير للطلب ثم تحرك إليها لكن رسالة أخرى تظهر أمام الرجل الجالس في مكتبه (لإكمال المشاهدة يجب تحويل 5000 بيتكوين) أطلق الرجل سبة بذيئة و وافق على التحويل ليعود إلى البث لكن... !! الفتاة إختفت.. الخنزير ملقى على الأرض عارياً و سكين ضخم مخترق صدره مطلقاً شلال من الدم النجس... إتسعت عيني الرجل أمام الشاشة و فغر فاه ، توقفت يده عن الحركة و جف عرقه في ثانية و هو يشاهد ما حدث ولا يفهم. كيف لفتاة صغيرة لم يفصلها عن الموت إلا لحظات أن تقتل رجل بهذه الضخامة و تهرب في أقل من دقيقتين؟ أثناء صدمته وجد شئ غريب يحدث في شاشته؟ تشوش يحدث لمدة لحظة ثم يحدث مرة أخرى.. إنتبه لما يحدث لتنفجر صافرة مزعجة إخترقت سماعة أذنه .. صافرة عالية تصم الآذان.. ثم صبغت الشاشة باللون الأسود و ظهر وجه الأرنب باجز باني يقضم جزرة و تظهر رسالة على الشاشة (الدور عليك).

****

كافيه توباكو، يجلس هادي على طاولة في ركن يرتشف قهوته بإستمتاع، يعشق البن غامقاً بلا سكر.. يراقب الناس و ضحكاتهم و أفعالهم .. الصامتون يعملون بتركيز.. المحبون يتهامسون و يتضاحكون و أحياناً يسرقون القبلات.. إبتسم بحانب فمه حين شاهد ذلك الشاب يضع وردة حمراء في شعر حبيبته ثم يخرج هاتفه ليلتقط لها صورة.. كانت الفتاة جميلة بحق، توقع هادي أن تجلس على نفس الطاولة بعد ثلاثة أشهر لتبكي ذكرياتها معه كما تفعل الأن تلك الجالسة على طالولة 12 .. منذ شهرين كانت تجلس على نفس الطاولة مع شاب ظنت أنه حبيبها.. لكنها الآن تبكي وحيدة..

إقتحمت فودكا مجال رؤية هادي قائلو:

- الندالة إيه؟

ضحك قائلاً:

- الندالة إيه يا فودكا؟

سحبت المقعد و جلست أمامه و هي تقول:

- لما إنت جاي هنا مقولتليش ليه؟
- هو أنا من أمتى بقولك أو بتقوليلي... عارفة يا فودكا أحلى حاجة فينا إيه؟
- إننا بنتقابل صدفة دايما
- و إنك بتفهميني قبل ما أتكلم.

أشارت لـ(خالد) النادل فذهب الأخير ليحضر مشروبها ليقول هادي:

- في ظروف تانية كان زماننا Lovers يا فودكا.

ضيقت فودكا عينها و هي تنظر له ثم إنفجرا ضحكاً لتقول فودكا:

- إيه يا عم القرف دة.
- أنا تخيلتها للحظة بطني قلبت، تخيلي نبقى زي الملزقين اللي هناك دول.

نهضت من مقعدها و جلسة بالمقعد المجاور له قائلة:

- إستنى نحفل أنا بحب أحفل عالملزقين.

إلتقطت الفتاة صورة بوضع سيلفي مع حبيبها ثم إلتقطت حقيبتها و نهضت بينما إتجه الشاب لدفع الحساب.. ضحك هادي و قال:

- دة أنتي فقر.. كويس إنهم قاموا مشيوا من غير ما يفركشوا.

ضحكت فودكا و قالت:

- لا بس كتاكيت خالص.. و أنا الحاجات الحلوة دي بتموعلي نفسي .
- دة إنتي بومة.
- و ليا الشرف يا عم هادي.

أحضر (خالد) كوب البابونج الخاص بها و تركه أمامها ليقول هادي:

- إنتي هتزهقي من البابونج إمتى؟
- لما تزهق من السم الهاري اللي بتشربه دة.

نظر هادي لقهوته و قال لها ساخراً:

- إيش فهمك إنتي..

رشفت من كوبها و بدأت تشعر ببعض هدوء الأعصاب قبل أن تريح رأسها على كتف هادي الذي ما إن لاحظ ذلك خفض جسده لتستريح رأسها.. امسكت أصابعه بكفها فأحتضن كفها بكفه و وضع قبلة عليه.. عدلت رأسها و إبتلعت البابونج الساخن دفعة واحدة و عادت برأسها إلى كتفه و أغمضت عينيها في راحة و إطمئنان.

***

فتحت فودكا عينيها في فراشها، العرق يكسوها كمتسابق فاز بالماراثون للتو.. زفرت بغنج و نظرت لهادي النائم بجانبها... تبتسم دوما حين تراه نائماً.. تأملت ملامحه.. شعره الأسود المبعثر من المعركة الملحمية.. ذقنه الخفيفة التي تعشق خربشتها على بشرتها الناعمة.. شفتاه الدقيقتين ، صدره الذي يعلو و يهبط مع أنفاسه الساخنة.. أنفاسه التي أضافت الكثير من الشبق في لحظات الهدوء و الإستعداد للملحمة.. تأملت سكونه و هدوءه و البراءة في ملامحه النائمة.. كيف لتلك الملامح البريئة أن تكون بذلك العنف! شعرت و هي تتأمله في نومه أنه إبنها.. إحتضنته و دفنت رأسه في صدرها .. ملمس شعره الناعم و جسده الدافي و أنفاسه الحارة على جسدها أعادت شعلتها مرة أخرى.. وضعت رأسها على صدره مدت يدها تلامسه.. أبتسمت لما وجدته مازال مستيقظاً .. رفعت عينيها إلي وجهه فإبتسم و هو مغمض عينيه و قال:

- هتقدري تكملي؟

- إنت هتقدر؟

- بقى كدة!

و نهض حاملاً إياها بين يديه .. و ذراعيها ملتفة حول عنقه تشم رائحته التي زادت من حماسها فإحتضنته .. حملها للمطبخ و تركها على الطاولة الباردة.. فتح الثلاجة و أخرج قطعة من الفراولة و قطعة ثلج.. ثم إتجه و أمسك بوعاء العسل و ذهب إليها واضعا قطعة الثلج بين شفتيه.. إبتسمت و هو يقترب منها.

***

يجلس هادي على الطاولة التي تتوسط المطبخ في بيت فودكا.. أحضرت له كوب من الشاي و جلست ترتشف من كوبها.. قال ها دي:

- تعرفي إن دي أول مرة أشوفك لابسة حاجة تانية غير الطقم بتاعك؟
- ما هو لو هلبس هدومك كدة دايماً مش هلبس الطقم دة تاني.

قال ساخراً:

- واخدة بالك إننا بقينا نلزق زي اللي كنا بنتريق عليهم من 3 ساعات.

ضحكت و قالت بحنق مصتنع:

- تصدق بالله إنت خسارة فيك الشاي اللي بتطفحه دة.

- أيوة فعلا.. المفروض أشرب عسل سدر جبلي عشان أعوض اللي عملتيه فيا.
- أنا المفروض أشرب مكركروم

صمت لثانية ثم إنفجر في الضحك قائلاً:

- إنتي جبتي الفكرة دي منين أصلاً ... دة إنتي مصيبة.
- يا عم ريح بقى... إشرب شايك و إتكل على الله عشان مش فاضيالك..

قال بطريقة مسرحية:

- بقى كدة.. تاخدي غرضك مني و ترميني لكلاب السكك

قالت ضاحكة:

- انت بتقول إيه إنت! لا يا عم إتكل على الله عشان ورايا مشوار مهم.

نهض قائلاً:

- طب يا فودكا كان نفسي أكمل الحوار اللطيف دة بس إفتكرت إن عندي ميتينج مهم و لازم أحضره عايزة حاجة؟

ضحكت قائلة:

- هشوفك تاني إمتى؟
- هشوفك في توباكو.

***

شعر رأفت بغصة في صدره من كثرة التدخين، نهض من مقعده و تمشى في غرفة المكتب ذهاباً و إياباً ثم تجرع كوب ماء بنهم قبل أن يجلس على المقعد المقابل للمكتب.. أمسك بورقة من المكتب و تمشى بعينيه مراجعاً .. واحد و عشرون ضحية من الذكور البالغين الذي لا يجمعهم صفة واحدة مشتركة... خمسة وريقات تحمل كلمات و جمل مبهمة لا ترتيب لها (هجيبك – المرة الجاية برقابتك إنت – ملعوبة صح؟ – فاضلك واحدة – وفيت بوعدي)

يعلم أنه من الممكن أن تكون تلك الرسائل للضحايا أو لشخص ما سيصله خبر الضحايا.. لكنه يعلم أن الأمر ليس بتلك السذاجة.. رأسه ستنفجر من الألم و هو يحاول تبين الصلة بين الكلمات و بعضها، أو بين الضحايا.. في زحامه بأفكاره سمع رنين الهاتف برقم زوجته :

- ألو.

إستقبل صوتها باكية و هي تقول:

- العملية فشلت يا رأفت، فشلت تاني يا رأفت.

شعر بألم في قلبه لكنه حافظ على هدوءه و هو يقول:

- طب إهدي يا حبيبتي ، قدر الله و ما شاء فعل.. الحمد لله على كل حال.
- يا رأفت بقولك العملية فشلت تاني.. أنا حاسة إني هموت.
- بعد الشر عليكي يا حبيبتي متقوليش كدة، أنا هنزل مالشغل و أجيلك ، إنتي لسة في العيادة؟

*****

فتح هادي باب شقته و دلف بسرعة، ألقى بجسده على الأريكة قبل أن يسمع رنين هاتفه الصغير.. نهض للغرفة و أمسك به مجيب:

- هبعتلك اللي بعده...
- إستنى بس يا عم علي مش كل مرة كدة.. أنا عايز أرتاح فترة كدة.
- ترتاح؟ أنت عارف كل لحظة بترتاح فيها دي ممكن كام نفر يتعذب و يموت؟
- صباح الفل يا علي أنا مش راكن الفيل تحت البيت، إنت بتعمل كل دة لمتعتك الشخصية مش عشان تنقذ حد.
- ماشي يا عم الصاحي، في حاجات جديدة عايزك تعملها.
- خير.
- إبقى خد وقتك في القتل.
- نعم؟
- إيوة إبقى إقتلهم قتلة صعبة.. عذبهم شوية،، قطعهم و كدة؟
- دة عشان...

قاطعه:

- دة عشان الناس اللي بتتفرج تخاف فعلا تدخل عالمواقع دي تاني يعني تقفلها من المصدر و المتلقي.
- مش علشان متعتك يعني؟
- مهو لو عشان متعتي كنت اتفرجت عليهم هما على طول ما هم بيعملوا اوسخ من كدة
- منطقي... ماشي يا علي في حاجة تاني؟
- إبقى بص للكاميرا و هددهم بأي طريقة.
- .... ماشي
- إفتح جهازك.. هبعتلك الجديد.

دلف هادي إلى غرفة القتل ، جلس أمام لابتوب إبتاعه منذ عدة أسابيع ضغط عدة أزرار لتنفتح أمامه شاشة سوداء ليظهر الأرنب باجز باني و جزرته.. ثم إنفتحت بعض النوافذ .. النافذة الأولى كانت لبث قديم من إحدى الغرف الحمراء على الديب ويب ، رجلان و فتاة يقفون بلا ملابس في مواجهة الكاميرا و يقف شخص ضخم يرتدي قناع أسود ثم يسحب الرجل و الفتاة خارجاً و يضرب الرجل الباقي حتى يسقط أرضاً.. ثم بخلع حزام بنطاله و يضربه على جسده العاري قبل أن يخلع بنطاله و يتجه إليه.. لم يتمالك هادي نفسه و أغلق تلك النافذة و يستعرض ما في النافذة بعدها، كان بث حي من تلك الغرفة.. نفس الضخم يقف و امامه الفتاة و الرجل من الفيديو السابق.. و طفلة صغيرة.. ظل ينظر للكاميرا و الناس يختارون .. و إنتهى التصويت على إختيار الطفلة الصغيرة.. صعد الدم في رأسه و هو يشاهد ما يحدث لتلك الرقيقة التي يظهر عليها أثار الضرب و الإرهاق .. أغلق النافذة الثانية و إستعرض الثالثة التي كانت تعرض نقطة ما على الخريطة تحدد مكان الأحداث.. كانت تشير لمكان ما في الصحراء.. أما النافذة الرابعة كانت تشير لتخطيط المبنى و من يعملون به... أغلق هادي اللابتوب و نهض ليتجه إلى الدولاب.. نظر إليه فوجد الفستان الأحمر و الشعر المستعار.. و بجانبهم بذلة سوداء و قناع لباجز باني.. إلتقط البذلة و القناع ليرتديهم و يقف أمام المرآة...

****

بث حي من موقع (TED RED) على الدارك ويب.. غرفة مضاءة بضوء أحمر غير مريح، منضدة حديدية تتوسط الغرفة مقيد عليها رجل ينزف من عدة مواضع، و منضدة أخرى تحمل سكاكين و أدوات تعذيب.. و رجل ضخم يرتدي قناع أسود يخفي وجهه.. و شاشة تعرض له ما يكتبه المشاهدون فوقها كاميرا تبث ما يحدث مباشرة على الموقع.. يتلقى الضخم أحد الأوامر

فيتجه إلى المنضدة و يمسك بمطرقة ضخمة ثم يتجه للرجل الملقى كمنديل ورقي على المنضدة ليضرب عظام ساقه بها ليصرخ المسكين بعد أن تتهشم عظامه محدثة طقطقة عالية و دم ينفجر بين اللحم الذي تمزق من العظام المكسورة، الرجل يتلوى في قيده متألماً و نظرة الضخم له بلا روح.. لا تتأثر.. يعود لينظر للشاشة ليجد أمر آخر فيذهب للمنضدة يسحب المقص الحديدي و يذهب للإصبع الصغير في يده ليفصله عن جسد المسكين الذي أصبح كخرقة بالية و يعود ليتلوى متألماً بين صرخاته.. عاد الضخم ليقف أمام الشاشة .. نظر للأمر الذي صدر من مستخدم VIP و إرتسمت على عينيه علامات الإستنكار.. لكنه يجب أن ينفذ الأمر على أي حال.. فإتجه للباب و فتحه... ثم سقط أرضاً على الفور.. تقدم شخص ما داخل الغرفة . شخص يرتدي بذلة سوداء و يغطي وجهه بقناع الأرنب باجز باني.. تقدم و في يده محقن كبير.. قد غرسه سابقاً في عنق الضخم ليفقد وعيه.. تقدم الأرنب و فك وثاق المسكين الذي على المنضدة و سانده ليخرج من الغرفة ثم أغلق الباب.. تحامل محاولاً رفع الضخم على المنضدة لكنه فشل تماماً.. فأزاح المنضدة و دفع الضخم ليتوسط الغرفة.. إتجه الأرنب إلى المنضدة التي تحمل الأسلحة ثم سحب سكين كبيرة.. إتجه إلى الضخم الذي يفترش جسده على الأرض و جثى على ركبتيه بجانبه.. أخرج من جيبه قطعة من القماش ما إن قربها إلى أنف الضخم حتى سعل بقوة.. نظر للأرنب و قبل أن يبدي أي ردة فعل دفن الأرنب السكين في صدره مخترقاً العظام و الرئة لتنسل الدماء من الفراغ بين اللحم و السكين.. رفع الأرنب سكينه ليبدأ شلال الدماء.. نظر الأرنب للدم الذي تحمله السكين و تذكر ما شاهده عن الطفلة و ما فعله بها هذا الضخم.. فرفع السكين مرة أخرى و دفع بها بقوة تماماً في قلبه.. إنسل الدم من فمه و أنفه و سكنت حركته بعد رعشة دامت للحظات.. ثم رفع سكينه مرة أخرى ليخترق بها أسفل بطنه.. و بدأ التمزيق... حين إنتهى كانت الدماء تغطي يديه و بذلته و قناعه.. نهض ناظراً للكاميرا و أخذ يقترب و في عينيه غضب كأنه بركان على وشك الإنفجار.. إقترب للشاشة و أخرج من جيبه ورقة مكتوب عليها بالدماء (الدور جاي على كل اللي بيتفرج) و مد يده للكاميرا نازعاً إياها في عنف.. ثم خلع هادي قناعه و أخرج من جيبه محقن آخر و أنبوب قابل لإعادة الملئ و سحب سنتيمترات الدماء ليضيفها إلى الدماء بداخل أنبوبه، ثم نهض و غادر الغرفة في هدوء.

******

توقف هادي بالسيارة في مكان ما خالي في الصحراء.. ترجل منها مرتدياً قميصاً أزرق.. أمسك بهاتفه الصغير و أعاد إليه شريحة الشبكة .. و ما إن فتحه حتى وصله إتصال من علي:

- ألو.
- عاش يا هادي، أيوة كدة يا عم.. شوفت حاجة زي كدة ترعب اللي بيتفرج إزاي؟
- عايز أسألك سؤال..
- إسأل طبعاً
- إيه موضوع الأرنب دة؟
- كل هاكر و بيبقى ليه بصمة.. باجز دة بقى بصمتي أنا.
- إشمعنى باجز؟
- كل واحد بياخد بصمة قوية أو شريرة .. اللي شيطان و اللي جمجمة، غراب ، بومة، و هكذا.. أنا بقى إختارت حاجة هزلية جداً أولاً عشان يبقى مميز و ثانياً إن الرعب بييجي من أمتر حاجة متتوقعش إنها ترعبك.
- حلو دة..
- حلو فعلاً.. دلوقتي شكل الأرنب دة بقى مرعب لكل اللي بيتابع الريد رومز.
- كدة فاضل كتير؟
- هبعتلك الجديد حالاً بس المرة دي هتكون مختلفة..
- إزاي؟
- ضحية المرة دي مش جوة ريد روم.. دة شخص بيخطف و يبيع الناس اللي بتشوفها ضحايا في الريد روم.. بيستدرجهم بطرق مختلفة.. مهمتك إنك تخليه يستدرجك إنت ..
- بسيطة.. بس أنا هروح من الصحرا دي هنام.. بكرة أبقى أبص عليه

- براحتك أنا كدة كدة بعتلك.. بس إنجز بسرعة عشان..

قاطعه هادي:

- كل ما بيعدي وقت كل ما حد بيتأذي...
- بالظبط.

أغلق هادي المكالمة دون كلمة أخرى و أخرج الشريحة من الهاتف مجدداً و دسها في فمه.. عاد للسيارة و أدار المحرك و إنطلق...

من بعيد شاهد أحد كمائن الشرطة فنظر للحقيبة البلاستيكية التي تحمل الملابس الملطخر بالدماء و السكين التي تحمل بصمته..تأكد من إغلاقها و وضعها في الأسفل.. يقترب من الكمين و كل بضعة ثوان يلقي طرف عينه إلى الحقيبة التي من الممكن أن تسبب نهايته.. حان دوره فألقى نظرة أخيرة و تقدم بالسيارة.. توقف ليقتحم نافذته يد أحد رجال الشرطة قائلاً:

- جاي منين؟
- كنت في البلد عند أهلي عشان عقبال عندك كان فرح بنت خالي ..
- الرخص...

مد هادي يده في الشماسة ليخرج رخصتي السيارة و القيادة و ألقى ببصره إلى الحقيبة التي إنزاح طرفها ليظهر طرف القناع الذي يحمل بقعة دماء واضحة.. ناوله هادي الرخصتين و إلتف بجسده مواجهاً النافذة ليخفي بجسده الحقيبة التي إنحسرت عن القناع.. ما إن نظر الشرطي لرخصة القيادة نظر لهادي و ضيق عيناه.. نظر بداخل السيارة ثم عاد لينظر للرخصة متأكداً قبل أن ينظر لهادي متسائلاً:

- الإسم دة مش غريب عليا.. هو إنت إبن العقيد..

قاطعه هادي:

- أيوة فعلاً.. أنا إبنه .. الله يرحمه
- الله يرحمه.. تعيش و تفتكر..
- شكر الله سعيك..
- على فكرة والدك كان راجل عظيم.. أنا حضرت الجنازة بتاعته.. كنت لسة يادوب ملازم .. أبوك مات بطل.. يا أستاذ هادي.
- الحمد لله.. أشكرك يا فندم..
- أنا بعتذر إني عطلتك..
- لا ولا حاجة يا فندم أشكرك جداً.

أعاد له الرخصتين وأشار الشرطي لأحد العساكر ليفتح الطريق ، إنطلق هادي و هو يتنفس الصعداء و يلعن علي في سره ألف مرة.

*****

الفصل الرابع

فودكا تجلس في الكافيه منتبهة لشئ ما على شاشة اللابتوب أمامها و يبدو عليها الحيرة، عبر (خالد) من امامها فنادت عليه، عاد لها متسائلاً فقالت و هي تشير إلى الشاشة قائلة:

- بقولك إيه، هو التاتو دة أحلى ولا دة؟

نظر خالد للشاشة ليجد صورة تجمع بين رسمتين للوشم، الأولى فتاة تجلس القرفصاء بجانب غراب يقف على جمجمة بشرية بجانبها، و الأخرى رسمة لفتاة تحتضن جمجمة بيديها قرب وجهها عازمة على تقبيلها، فقال بتردد:

- هما الإتنين حلوين، بس أنا مبفهمش في الكلام دة قوي.

- يابني هو أنا بقولك إرسمهوملي، أنا بقولك أنهي فيهم شبهي أكتر؟

متردداً أشار للصورة الأولى فقالت فودكا:

- حلو، أرسمها فين بقى؟

نظر لجسدها محاولاً كتم ضحكته قبل أن يعتذر قائلاً:

- أنا و الله ما أعرف الكلام دة بيترسم فين أو إزاي أصلا يا أستـ..

قالت مقاطعة:

- طب إمشي يا خالد دلوقتي.

تركها (خالد) محرجاً بينما قالت بحنق:

- أستاذة فودكا برضه، ما أنا اللي غلطانة إني بسأل خالد .. هو هادي اللي بيفيدني في المواضيع دي.. بس أقول إيه بقى صاحبك على عيبه...

وعدت تقلب في صور الوشوم شاردة.. لم تلحظ الثلاثة رجال الذين دخلوا إلى الكافيه يتضاحكون ليجلسوا في الطاولة المقابلة لها.. أمسكت فودكا بكوب البابونج و رفعت رأسها ترتشف منه ليقع بصرها على ذلك الرجل الذي يجلس في الطاولة أمامها مع رجلين لم تميزهم ، لكنها تعرفه جيداً، بدأت تظهر عليها علامات التوتر و الخوف ، بسرعة لملمت أشيائها في إهمال و وضعتها في الحقيبة محاولة ألا تلفت إنتباه أحد ، غادرت بسرعة و علامات القلق الفزع ترتسم على وجهها بقوة، إرتعشت و حاولت تجنب مرمى بصر ذلك الشخص لكنه كان يجلس في مواجهة الباب، تحركت بخطوات سريعة ناظرة بين كل خطوة على ذلك الشخص حتى إصتدمت بأحد الجالسين فقالت بغضب و هي تمد خطواتها:

- يا عم إوعى إنت كمان أنا ناقصاك.

و ما إن خرجت من الكافيه حتى ركضت مختبئة خلف سيارة قريبة و صدرها يعلو و يهبط من التعب و القلق، نظرت لباب الكافيه تراقب و هي تشك بأنه قد لاحظها و سيخرج باحثاً عنها.. مرت الدقيقتين عليها دهراً قبل أن تطمئن أنه لم يلاحظها و لن يخرج باحثاً فزفرت بإرتياح و ركبت أول سيارة أجرة عبرت أمامها.

نظر خالد لطاولتها فوجدها قد غادرت فإبتسم متجها للطاولة ليرفع كوب البابونج الفارغ تحضيراً لإستقبال ضيف جديد ، لكنه وجد هاتفها على الطاولة بجانب كوب البابونج الذي مازال ممتلئاً ساخناً .

****

في غرفة الإجتماعات يقف (رأفت) أمام جهاز العرض و أمامه قيادات أهم الأجهزة في الشرطة المصرية، يقف شامخاً يقدم آخر ما توصل إليه التحقيق.. تحرك قائلاً:

- و بالتحريات لقينا إن مفيش أي صلة بين الضحايا ولا بين الجمل اللي ساعات بيسيبها السفاح.. و دة جاب في دماغي فكرة .. إحنا ليه إعتبرناه سفاح؟

تمتم البعض بكلمات لم يسمعها و لم يعرها إهتمام فأكمل:

- بما يقرب من 30 ضحية.. كل واحد في طبقة إجتماعية شكل.. كل واحد عمره مختلف.. كل واحد منطقة.. كل واحد بشغل مختلف.. الحاجة اللي إستنتجناها من كل دة إن دة مش شخص بيقتل بدافع الإنتقام أو لمتعة القتل.. دة شخص مأجور!

نظر القبادات إلى بعضهم البعض متمتمين بضعة كلمات سمعها رأفت مبتسماً و أكمل:

- الشخص دة بياخد فلوس مقابل قتل.. و القتل دة بيكون رسالة لحد تاني.. عشان كدة بيسيب مسرح الجريمة بمنتهى البجاحة و بيسب رسالة.. الرسالة دي للشخص المقصود.. ممكن يكون نوع من الضغط لشخص آخر أو تهديد.. أو وعد.. و اللي بيحصل دلوقتي إننا بنحاول نحلل وجهة النظر دي بناء على المعلومات اللي عندنا و أول ما نوصل لنتيجة هبلغ حضراتكم.

إنطفى جهاز العرض و أضيئت الغرفة.. ليصفق له القيادات بحرارة ليبتسم هو بفخر و هو ينظر للواء مراد هاشم الذي بادله الإبتسام

***

ثلاث طرقات و دلف رأفت لمكتب اللواء مبتسما.. حياه و جلس أمامه ليقول مراد:

- برافو يا رأفت.. إنت فعلا كنت قد ثقتي فيك..
- ماشيين بأوامر حضرتك يا فندم.
- إتجدعنوا بقى في التحريات و البحث عشان القضية دي تتقفل.. أظن كفاية جثث لحد كدة..
- هنبذل أقصى ما في وسعنا يا فندم.
- إنت عارف إن القضية دي فيها ترقية صح؟
- إن شاء الله يا فندم أتمنى دة يحصل.
- طب إتجدعنوا بقى.. إقفل القضية دي عشان تأجز و تاخد مراتك في شهر عسل جديد..

إبتسم رأفت إبتسامة منكسرة و هو يتذكر زوجته فقال مراد:

- إنت لسة موضوع الخلفة دة مضايقك؟
- مش مضايقني قد ما مضايقني هي.. أنا مش فارق معايا غير أنها تكون مبسوطة.. ربنا لسة مأذنش .. هي اللي مصعبة الموضوع على نفسها و صعبانة عليا.. عايز أريحها.
- بص يابني.. الست بتتولد بغريزة الأم.. و دة عكسنا كرجالة اللي الغريزة بتظهر جوتنا أول ما نشوف حتة منك قدام عينك.. لو الست حصلها مشكلة في الخلفة بتبدأ تحس بإنها مش ست.. و هتبص لكل عيل قدامها بحزن و حرقة.. فإستوعب دة و خف عليها و حاول تشيل عنها شوية.
- بحاول أعمل دة و الله يا فندم بس هي مش مساعداني..

- خلص قضيتك و خد يا سيدي الأجازة اللي إنت عايزها عشان تعرف تهون عليها و حاولوا تاني و تالت كل حاجة بتبقى بمعاد..
- تحت أمرك يا فندم.. أنا بس في موضوع عايز أقوله لحضرتك و مكنتش عايز أقوله قدام القيادة
- خير
- الواد اللي بيقتل دة.. مسنود من حد في الجهاز...

****

رشف هادي من فنجانه ثم نادى على (خالد) النادل.. أسرع خالد إليه قائلاً:

- تحت أمرك يا هادي باشا.
- يابني بقى بطل الألقاب دي.. في مرة هتقع تحت إيد فودكا و مش هعرف أسلكك.
- أنا أسف جداً يا أستاذ..
- يادي النيلة.. مفيش فايدة فيك.. قولي... فودكا مظهرتش؟
- لأ بقالها كام يوم مش باينة.. و أخر مرة نسيت موبايلها هنا و مشيت و حتى محاسبتش..

ظهرت علامات التعجب في رأس هادي و دب الشك في قلبه.. أخرج محفظته و مد يده لخالد ببعض الأموال فرفض خالد قائلاً:

- لا و الله يا أستاذ هادي..
- يابني إمسك بقى ما أنا قايلك قبل كدة متناقشنيش و تاخد الفلوس و إنت ساكت..
- خلاص ماشي

أخذ خالد ما مد هادي يده به فنهض هادي مغادراً ليوقفه خالد قائلاً:

- طب و موبايل أستاذة فودكا؟!
- خليه عندك لحد ما تظهر و تاخده..

و خرج هادي من الكافيه قائلا في نفسه:

- برضه أستاذة فودكا.. يا ترى إنتي فين يا فودكا.

*****

فودكا في شقتها أمام اللابتوب، تضغط الأزرار بسرعة و عصبية و بأعين متسعة عن آخرها، ترشف من كوب البابونج الذي يفشل في تهدئة أعصابها كما إعتادت، أغلقت شاشة الابتوب في غضب و زفرت بعصبية.. سمعت صوت سقوط شئ ما في غرفة أخرى فإنتفضت فزعاً و لاذت بالحائط.. ظلت ثوان و تسحبت بحذر ككقطة متحفزة و هي تتجه لمصدر الصوت.. وجدت على المنضدة أمامها مقص كبير فأمسكت به في وضع الهجوم.. قلبها يركض و صدرها يعلو و يهبط و بدأت رأسها في التعرق و هي تخرج من الغرفة.. دخلت المطبخ فوجدت إناء سقط أرضاً من صف الآنية المتسخة فزفرت براحة قبل أن تنتفض مجدداً و شهقت حين رن جرس الباب.. إتجهت مسرعة و نظرت من العين فوجدت هادي يقف أمام الباب منتظراً بملل.. مدت يدها كي تفتح لكن ترددت.. نظرت مجدداً فوجدته يضغط جرس الباب مرة أخرى.. كادت تفتح الباب قبل أن تنسحب و تعود إلى غرفتها و تتدثر بلحافها .. أخذت ترتعش بينما تسمع جرس الباب .. هادي هو الوحيد القادر على إحتوائها و طمئنتها .. لكنها في وضع لا يسمح حتى بوجود الشخص الوحيد الذي تطمئن بين أحضانه.. سكت الجرس.. يبدو أن هادي قد مل و ذهب..شعرت بالدموع تتجمع في عينيها قبل أن تفر الأولى ليتبعها بضعة دموع صامتة.. ظلت لعدة دقائق قبل أن

تنفض رأسها.. نهضت بنشاط و توقفت أمام المرآة.. نظرت لعينيها التي تكحلت بالسواد و رسمت إبتسامة ثقة على شفتيها.. قبل أن ترتدي ملابسها و تغادر الشقة.

***

فتح هادي اللابتوب و ضغط عدة أزرار ليظهر أمامه الأرنب باجز باني ثم عدة نوافذ.. الأولى تحمل لقطات لأشخاص مقيدين في قفص كقفص الحيوانات المفترسة، مختلفين الأعمار و الأجناس.. متسخون مرهقون يظهر على جسدهم آثار الضرب السحل.. صور تم إلتقاطها من مكان عالي بعيد دون ملاحظة أحد.. و صورة لرجل في كل الصور يقف بجانب القفص.. ممشوق القوام شعره طويل ناعم يعقصه خلف رأسه و يرتدي قميصاً بنفسجياً مفتوح الصدر كشف عن سلسلة فضية لوجه كلب، ذقنه كثيفة و نظرته حادة وهو يعض على السيجار الغليظ بين شفتيه.. و صور أخرى مقرة له و هو يعد مبلغاً ضخماً من العملات الخضراء ..

في النافذة الثانية ظهرت صورة واضحة له تحمل حزءاً من ختم النسر.. يبدو أنها صورة من أحد الأوراق الرسمية.. فتحت النافذة الثالثة و هي نافذة المحادثة بين علي و هادي.. كتب علي:

- هيكون موجود النهاردة في ديسكو بلانكو في الزمالك..
- أعمل إيه؟
- إتصرف يا هادي .. إرجع إستخدم لي لي مثلاً..
- لأ أنا في دماغي فكرة أصيع...
- هتعمل إيه؟
- إتفرج و إتعلم...

و أغلق اللابتوب دون أن ينتظر رد من علي.. أغلق اللابتوب و توقف أمام الدولاب.. نظر لفتان لي لي و بذلة الأرنب قبل أن يخرج من الغرفة و يتجه إلى غرفة نومه.. فتح ضلفة الدولاب و تناول قميصاً أسوداً و بنطال من الجينز ...

دخل هادي من باب الملهى الليلي مرتدياً قميصاً أسود مفتوح الصدر و عدة سلاسل فضية تتدلى من رقبته .. و نظارة شمسية سوداء .. و ربط قطعة من القماش على رأسه ليصبح أشبه لرواد المكان..يتقدم داخل الملهى الصاخب و هو يبحث بعينيه عن الرجل ذو القامة الطويلة.. وجده يجلس على البار موالياً ظهره فضربه على كتفه و هو يتقدم قائلاً:

- إيه يا حوكشة مش باين ليه يا ندل..

قبل أن يقف أمامه و يرسم ملامح الصدمة و الإعتذار على وجهه قائلاً:

- أنا أسف جدا يا معلم أنا كنت فاكرك حوكشة صاحبنا أصله...

أشار له الرجل بأن الأمر بخير و هو يجز أسنانه فسحب هادي الكرسي الذي بجانبه و جلس قائلاً:

- أصلك مش فاهم .. إنت من ضهرك هو بالظبط.. هو بس بقاله كام يوم مختفي و إحنا مش متعودين منه على كدة..
- حصل خير.
- إنت قاعد مع حد؟
- أفندم!
- أصل الجانج جايين كلهم كمان نصاية كدة و لو مش قاعد مع حد أقعد إحتفل معانا يعني كنوع من الإعتذار.. و أوعدك هتنبسط.

للحظة ظهرت علامة الزفر على وجه طويل القامة و قال:

- إذا كان كدة بقى فأنا معايا ستاف في العربية هيخلي البارتي تحلو.. تعالى نشرب سيجارتين و نشوف..
- طب ما تطلع تجيبه و تيجي..
- ما إنت عارف إن الكلام دة ممنوع هنا.. ولا إنت شكلك بتلاوع و أول مرة تيجي!
- لا يا عم أنا اللي بختبرك بس.. مش ممكن تكون هتاخدني برة تثبتني.. عالعموم عاش .. يلا بينا.

****

يشعر هادي بألم يملأ جسده بالكامل.. رائحة عطنة قذرة تزعج أنفه.. فتح عينه بصعوبة ليرى اللون الأحمر.. سقف غرفة قذرة تتسلل منه قطرات المياة.. و رجل ضخم يرتدي قناع قرد يقف في مواجهة شاشة تحمل فوقها كاميرا... ظهر على الشاشة كلمة (المرحلة الأولى) و بدأت تتوالى الرسائل (إضربه في وجهه حتى ينفجر الدم.. إخلع ملابسه.. إكسر أحد أصابعه.. إكسر ذراعه..)

تحرك الضخم و جثى فوقه .. طقطق أصابعه و ظل يكيل له اللكمات حتى إنفجر الدم من أنفه و فمه.. الألم يقتله .. نهض الرجل و أمسك بمقص كبير و أزال ملابسه بالكامل.. ثم نظر للشاشة و إتجه إليه.. وقف بجانبه و أمسك بإصبع يده اليسرى و لواه عكس إتجاهه ليصرخ هادي من الألم و هو يسمع الطقطقة.. ذهب الضخم للمنضدة التي تحمل أسلحة و أدوات و أمسك بمطرقة حديدية و إتجه لهادي.. ثبت يده جيداً بيد غليظة قوية و بالأخرى رفع المطرقة في الهواء و قبل أن يهبط بها ظهرت رسالة على الشاشة من مستخدم VIP الرسالة كانت (توقف)..

نظر الضخم للرسالة و حاول التوقف لكن الوقت لم يسعفه لتهبط المطرقة بنصف قوتها فقط على ذراع هادي الذي تلوى ألماً، نظر الضخم له ثم للشاشة مرة أخرى لتظهر رسالة من نفس المستخدم (إبدأ المرحلة الثانية) لتظهر فوراً على الشاشة جملة (المرحلة الثانية) و تبدأ الأوامر.. (دق مسمار في ساقه.. إقطع ذنه بإستخدام المنشار.. إجذب شعره بقوة حتى ينخلع في يدك.. إثقب أذنه حتى ترى الدماء.. إقطع أنفه...) قرأ الضخم الأمر الأول و إتجه ليمسك بمسمار كبير ثم عاد لهادي الذي مازال يتألم.. ثبت المسمار على ساقه و رفع يده بالمطرقة و هم أن يهوي بها لتظهر رسالة من مستخدم VIP آخر.. (توقف) لينظر لها الضخم ثم يحاول تنفيذ الأمر لكن.. لكن تلك المرة ينجح في التوقف قبل أن يطرق المسمار في ساق هادي الذي تنفس حين رأي الضخم يبتعد.. المستخدم VIP الأول ظهرت رسالته بالإنتقال إلى المرحلة الثالثة... لتظهر على الشاشة جملة (المرحلة الثالثة) و فوراً ظهرت رسالة من VIP (فك وثاقه) نظر الضخم للجملة مستنكراً لكن رغم ذلك إنتقل لهادي و فك قيده.. لكن هادي ظل مكانه لم يتحرك ألماً... رسالة أخرى من نفس المستخدم (ساعده على النهوض و أعطه سكينة) تبعها برسالة أخرى (أمسك بسكينة و واجهه) و إنهالت الرسائل مؤكدة لذلك فالحماس و الأدرنالين قد صعد لأقصى درجاته .. تحرك الضخم و فعل ما أُمر.. وقف هادي مترنحاً متعباً متألماً بينما وقف الضخم ساكناً مستهوناً.. اللون الأحمر بالغرفة زاد حماس المشاهدين و هم ينتظرون تقطيع هادي.. إقترب الضخم من هادي و رفع يده في الهواء قبل أن يهوي بها هوى هادي على الأرض فاقد الوعي.. نظر له الضخم ثم نظر للشاشة منتظراً لتظهر رسالة من مستخدم عادي (إرفعه على الطاولة و أكمل المرحلة) ترك الضخم سكينه و إتجه إلى هادي.. إنحنى و رفع قدمه و يده ليخطف هادي بالنصل على رقبة القرد لتنتشر نافورة الدم التي غطت هادي في ثوان.. أمسك الضخم رقبته بكلتا يديه و صدرت منه حشرجة قوية قبل أن يحاول التمسك بأي شئ و هو يسقط أرضاً.. بصعوبة تحامل هادي على يده و نهض و الدماء تغطيه.. نظر للكاميرا و لوح بسكينه أمامها أن ذلك خطأ ثم حرك يده على رقبته تهديداً لمن يشاهد قبل أن ينزع الكاميرا و يعبر من فوق الضخم...

***

نظر (خالد) إلى الساعة و إبتسم براحة.. فقد حان ميعاد إنتهاء وردية العمل في الكافيه.. وضع كوب الشي الذي يحمله أمام العميل و تحرك قاصداً غرفة تغيير الملابس الخاصة بمن يعملون في الكافيه لكن شخص ما أوقفه متسائلاً:

- هو هادي فين؟

من منظر الرجل الغريب لم يستوعب (خالد) سريعاً فقال الغريب:

- هادي اللي هو يبقى....
- أيوة أستاذ هادي.. هو الحقيقي بقاله كام يوم مبيجيش و إحنا منعرفش عنه حاجة...

- إيه دة طب ما تديني رقمه!
- هو حضرتك تعرفه كويس؟

إبتسم الغريب إبتسامة طفولية قائلاً:

- إلا أعرفه.. دة أخويا..

ظهرت علامات الإستنكار على وجه خالد فقال الغريب:

- أكتر من أخويا كمان.
- و لما هو أكتر من أخوك إزاي متعرفش إنه مبيستخدمش تليفونات.. دة الكافيه كله عارف!
- هو لسة فيه العادة دي... طب يا عم روح هاتلي نوتيلا سخن.
- نوتيلا؟
- أيوة يا عم نوتيلا مالك!
- أبداً يا فندم أنا بس معاد الشيف تبتاعي خلص فهطلبه لحضرتك و زميلي هيجبهولك.
- ماشي يا عم .. المهم إنه ييجي..

طلب خالد المشروب و أخبر بديله في الوردية و قبل أن يدخل إلى غرفة تغيير الملابس وقف ناظراً لذلك الغريب، شاب طويل القامة يقترب عمره من عمر عادي.. يرتدي تي شيرت أصفر يحمل صورة بطة!.. يرتدي سلسلة حديدية تحمل علامة إكس.. و يرتدي شورت جينز به بعض الخدوش.. شكله غريب عن المكان و كم يجلسون فيه.. أخرج الغريب هاتفه الحديث و ظل يلتقط لنفسه صوراً كثيرة .. تعجب خالد منه و من ملابسه و تصرفاته قبل أن يصرف تلك الأفكار عن رأسه و يدخل إلى غرفة الملابس...

في الطاولة المقابلة لطاولة الغريب كانت تجلس فتاة رقيقة جداً.. شعرها متوسط الطول يحمل اللون البني.. بشرتها بيضاء لامعة و عينيها رماديتان.. ترتدي فستان قصير عاري الأكتاف .. رقيقة إلى الحد الذي يجعلك تخاف أن تمد يدك إليها بالسلام كي لا تجرح بشرتها الصافية.. تقدم إليها النادل فإبتسمت له في رقة قائلة:

- نيسكافيه بندق.
- تحت أمرك يا فندم.

قالها محافظاً على إبتسامته و إنصرف.. أخذت الفتاة تعبث في هاتفها عدة دقائق حتى عاد إليها النادل بكوب النيسكافيه لتخرج من حقيبتها قطع المارشميلو و تضع بعض القطع في الكوب لتذوب ببطء.. نهض الغريب و أمسك ذراع النادل و هو يعبر بجانبه قائلا بصوت خفيض:

- أنا طالب نوتيلا بقالي شوية.. المزة دي طالبة اللي بتطفحه من 3 دقايق.. قدامك دقيقة لة النوتيلا مجاتليش أنا هخلي هقتلك و هعمل لنفسي مشروب نوتيلا في نفس المج اللي هشرب من دمك فيه.. فاهم.

إنتفض النادل و إرتعد و هو يهز رأسه موافقاً قبل أن يركض ليحضر مشروبه.. بينما إتجه الغريب إلى الفتاة و قال لها بإبتسامة و نبرة صوت مختلفة:

- لو سمحتي يا آنسة،ز
- أنا خدت بالي إنك بتحطي مارشميلو عالمشروب بتاعك فأنا حابب أعرف الميكس دة إيه؟

إبتسمت برقة و قالت بصوت خفيض:

- دة نسكافيه بندق .. أنا بحب أحط المارشميلو عليه عشان يدوب و أشربه كدة و هو سخن.. بيخطف قلبي.

إبتسم لها فمدت يدها بالكوب قائلة:

- تحب تجرب؟
- بس اااا.. مش هتقرفي؟
- ليه بس بتقول كدة .. طب أقولك أنا عازماك.. إنت قاعد في أنهي ترابيزة..

رغماً عنه إبتسم من رقتها و أشار على طاولته قائلاً:

- أنا قاعد هنا بس أنا أسف .. أنا طالب نوتيلا و زمانها جاية خلاص أهيه.. لكن أوعدك هجربها.
- متأكدة إنها هتعجبك
- هي عجبتني خلاص..

و حياها عائداً إلى طاولته ليجد مشروبه، كيف لم يلاحظ النادل و هو يحضره؟ لم يعر ذلك إنتباه و أمسك بالكوب.. رشف منه رشفة سريعة ليغمض عينيه في إستمتاع حقيقي قبل أن يقول بصوت خفيض:

- إنت فين يا عم هادي.

***

هادي في فراشه.. جسده ملفوف في عدة ضمادات و يبدو عليه الإرهاق.. تعالى رنين هاتفه فبصعوبة إلأتقطه و فتح المكالمة:

- ألو
- حمد الله عالسلامة يا بطل.. عامل إيه دلوقتي؟
- تعبان يا علي.. المسكنات مش عاملة نتيجة..
- ما أنا قولتلك بلاش الخطة دي .. إنت اللي صممت.. أهوه لسة الواد حر طليق.
- مهو لو كنت لحقتني كان زماني على رجلي..
- يابني مهو كان في واحد تاني VIP كلامه قصاد كلامي و الاتنين بيمشوا عالكل
- و إنت ملقتلهاش حل!
- مهو أنا حاولت أهوه و أديك الحمد لله بصحتك.. هو بس الكام كسر و الوجع و كدة..
- و صباعي اللي طار يا علي!
- يا عم فداك الحمد لله إنك لسة عايش.. على فكرة ..
- إيه...!
- أنا بعتلك الجديد..
- إقفل يلا .. إقفل.

و أغلق المكالمة قائلاً:

- أهوه أنا في يوم لو جيت أقتل علي مش هلاقي فيه نقطة دم واحدة...

****

خرجت فودكا من محطة قطار سيدي بشر بالأسكندرية.. ترتدي سماعات الرأس الذي يخرج منها الأصوات الصاخبة التي تتميز بها موسيقى الميتال.. أشارت إلى سيارة أجرة و دلفت إلى الكنبة الخلفية لتنطلق بها عبر شوارع الأسكندرية العريقة.. أشعلت سيجارة L&M RED و نفست دخانها في الشوارع.. حين إنتهت السيجارة كانت قد وصلت لوجهتها.. خلعت سماعتها و حاسبت السائق و ترجلت من السيارة أمام بيت من ثلاثة أدوار.. وقفت على الرصيف المقابل تنظر لنافذة الطابق الثاني هاجمتها الذكريات بلا شفقة... إقشعر جسدها من فرط الحنين و هي تذكر عمراً بأكمله.. خيل لها أن شخص ما عبر من أمام النافذة فإنتبهت.. وجدت سيدة أربعينية عبرت مسرعة من أمام النافذة قبل أن تعود متأكدة مما رأت.. تلاقت أعينها مع أعين فودكا .. في لحظة دمعت عيني فودكا رغم محاولتها المستميتة في كتمها.. و السيدة في النافذة نظرت إليها بنظرة جامدة لا روح فيها... ظلت تحدق إليها بلا مشاعر.. شعرت فودكا أنها غير قادرة على التحكم في مشاعرها و لن تقدر على كبح بكائها أكثر من ذلك فركضت و هي تداري وجهها في كفيها ماسحة القطرات الساخنة من عليه... ركضت لأول شارع جانبي و سقطت على ركبتيها و إنهارت.. بكت كما لم تبكي من قبل.. لم تنتبه إلا عندما شعرت بيد تلمس كتفها.. في ثانية لوت الذراع الذي كان يلمسها و نهضت مستعدة لتوجيه اللكمات لكنها تفاجئت بأن ما في يدها هي ذراع رجل مسن حاول الأطمئنان عليها و طمئنتها.. و إنتبهت للعيون التي تلتف حولها فصرخت فيهم و ركضتكثيراً حتى وصلت إلى البحر.. بحر إسكندرية.. ذلك الساحر القادر على سحب التوتر منك في لحظات معدودة.. جلست أمامه و تنهدت حتى إستكانت.. أخرجت سيجارتها الأخيرة و ألأقت العلبة الفارغة قبل أن تشعل السيجارة.. سحبت نفساً طويلاً و نفثته .. نفثته و نفثت معه البكاء و الحنين و الذكريات.. نفثت معه الخوف و الظلم.. نثفت معه كل ما يعتمل في صدرها .. أنهت سيجارتها و نهضت .. أشارت لسيارة أجرة لفظتها أمام محطة القطار.. أعادت السماعة إلى رأسها و خطت خطواتها بثقة داخل المحطة.

***

خطأ صغير يكشف عن قاتل محترف.. ذلك ما قاله الرائد (رأفت الشيخ) و هو يشاهد ذلك الشريط المسجل من إحدى كاميرات المراقبة لأحد المباني المواجهة للمصنع الذي كان يعمل به مصطفى.. أحد ضحايا القاتل.. تعرض صورة جانبية للسائق الذي ركب معه مصطفى بعد أن غادر من عمله.. و تعرض أيضاً أرقام السيارة بوضوح.. يبدو أنه عثر على كنز... أمسك بالهاتف و طلب رقم داخلي قائلاً:

- تعالالي حالاً.

دقيقة و سمع طرقاً على المكتب و إذ بـ(أحمد) يدخل ليقول له (رأفت) في حماس..

- معانا خيط مهم جدا بس نستغله و نعمل شغلنا صح..
- طبعاً يا فندم بس وصلنا لإيه؟

أدار رأفت الشاشة لتصبح في مواجهة أحمد ثم ضغط على لوحة المفاتيح ليشاهد أحمد ما يحدث و تتسع عيناه.. قال في دهشة:

- هو دة...؟
- مصطفى الضحية رقم 16 يا أبو حميد..
- يعني إحنا كدة معانا صورة و رقم عربية!

علت الجدية صوت رأفت و هو يقول:

- الخبر دة أوعى يوصل لحد تالت.. دة بيني أنا و إنت بس.. فاهم؟ لحد ما نشوف ممكن يكون مسنود من مين.. أهم حاجة نتحرك من غير ما حد يحس بينا.
- تحت أمرك يا فندم.
- هاه.. تدور في الصورة ولا العربية؟

تردد أحمد قائلاً:

- أأأ .. اللي تشوفه يا فندم.
- خد إنت أرقام العربية عشان أسهل .. سيبلي أنا موضوع الصورة دة.. لو وصلت لحاجة بلغني على طول حتى لو الفجر.
- تمام يا فندم.
- روح إنت .. و إبدأ حالاً.
- حاضر يا فندم.

غادر أحمد ليشعل رأفت سيجارة هي الأمتع منذ أصبح مسئولاً عن تلك القضية.. أمسك بهاتفه و أجرى إتصال بزوجته قائلاً:

- إيه يا حبيبتي..
- أيوة يا حبيبي..
- تحبي أجيب بليل و أنا راجع حمام ولا سي فود؟

بفرحة و عدم تصديق سألت:

- إيه؟
- أنا بقول أجيب الإتنين.. و أعدي على حبايب السيدة أجيب شوربة كوارع..

بفرحة قالت:

- هو إيه الجديد؟
- الجديد إن خلاص القضية في آخرها و بتتحل.. يا وش السعد..

ضحكت و قالت:

- طب تحب ألبس إيه؟... أنا ممكن ألبسلك الـ..

قاطعها قائلاً:

- إلبسي أي حاجة يا قمر.. أقولك... إلبسي حاجة إنتي بتحبيها...

قالت بحماس:

- هتيجي إمتى؟
- ساعة بالكتير و هتلاقيني قدامك.

أغلق المكالمة و أمسك بهاتف المكتب طلب رقم داخلي ليرد عليه ضابط في مكتب آخر فقال رأفت:

- أيوة يا حبيبتـ... أحم أأأأ أيوة يا بلال... تعلالي بسرعة .. لأ سيب اللي في إيدك و تبقى قدامي حالاً.

*****

وضع هادي القرص في فمه و إبتلعه بكوب ماء .. ظل سكاناً يحاول النهوض لكن جسده يخونه.. تحامل على نفسه و حاول رغم الألم الذي يفتك بيده حتى نجح و نهض.. دخل إلى غرفة القتل و ضغط زر الإضاءة.. سحب كرسياً حديدياً و ألقى بجسده عليه.. ظل يتمشى بعينه على الأسلحة و الصور.. الدولاب و الأدوية.. العبوات و المحاقن.. مد يده إلى سكين كبيرة و سحبها

ليرى إنعكاسه فيها و عينيه التي مازالت تحمل أثر اللكمات.. تحسس شفته بأصابعه ليبعدها ألماً قبل أن يعود لغرفتـه .. أمسـك الهاتف و طلب رقم علي ليرد الآخر بعد دقائق:

- إيه يا بطل.. جاهز للجديد؟
- أنا بس عايز أسألك سؤال..

إعتلت الجدية صوت علي و هو يقول:

- خير يا هادي..
- إحنا هنفضل كدة لحد إمتى؟

صمت على لثوان ليست بالقليلة قبل أن يجيب:

- لحد ما نقضي على الريد رومز اللي في مصر كلها يا هادي..
- و بعدين؟
- خلاص كدة كل واحد يشوف حاله..
- و أنا بعد كل دة أضمن منين إنك مترجعش تستغل الفيديوهات اللي معاك دي.
- يابني إنت عبيط.. ما أنا لو عايز استغلها أو أذيك بيها كان زماني عملت كدة..
- ما إنت إستغلتها عشان تجبرني أشتغل معاك!
- و أنت عمرك ما كنت هتشتغل معايا إلا و إنت مقتنع.. أنا بس إديتلك هدف أكبر.. و كل ما الهدف بيكبر كل ما خطره بيزيد.. و أحب أفكرك إن اللي حصلك دة كان بسبب إرارك على خطة معينة أنا نفسي حذرتك منها..
- يعني عايز تفهمني إنك يهمك مصلحتي و خايف عليا؟
- إيوة طبعا يا هادي .. إحنا شغلنا مش زي أي شغل .. شغلنا قربنا من بعض كتير..
- طب لو يهمك مصلحتي فأنا هقولك قرار..
- قول..
- أنا عايز أبطل...

*****

صرخاتها العالية تزيد حماسه و قوته.. العرق يكسوهم فيغرقهم و يجعل منهم جسد واحد.. تئن أحياناً.. تتـآوه أحيانـاً.. تصـرخ أحيانا و هو من فوقها يسعى بقوة.. تهدجت أنفاسه و سرعت حركته و ظهر أنينه بين صـرختها لينتفضـا سـوياً بعـد أن وصـلاً لقمة إفتقدوها منذ وقت طويل.. إرتمى بجانبها لاهثاً فلاذت بحضنه .. أحاطها بذراعه محتضناً و قبل رأسـها فـي حـب ليتسـلل لأنفه أريجها الذي يعشقه عشقاً.. قال لها بين أنفاسه:

- إن شاء الله المرادي تنفع..
- إن شاء الله يا حبيبي..

أمسكت بكفه و وضعت قبلة عليه ليبتسم و يحتضنها بقوة.. مدت يدها أسفل الفراش و أخذت تحركها ببطء فضحك و نظر لها ليتبادلا قبلة طويلة أعادت شبقهم مجدداً.. صعدت فوقه فأمسك يديها بقوة.. صرخت فجـذبها لحضـنه و ضـمها بـين ذراعيـه و هي تئن و تصرخ ليقطع معركتهم الحميمية رنين الهاتف...توقف رأفت لثوان كانت كافية لتفلـت زوجتـه مـن حضـنه و تنظـر لـه.. قال لها:

- سيبك منه .. خلينا نكمل..

أحاط خصرها بكفيه ببطء ليتصاعد صوت الهاتف مجدداً .. نظرت في عينيه و قبل أن تنطق أمسك رأفت بهاتفه و ألقاه بعيداً قائلاً:

- مفيش حاجة هتاخدني منك النهاردة.

و طبع قبلة على كفها فقالت:

- بس التليفون خدك مني خلاص يا رأفت.
- لأ يا حبيبتي أديني دقيقتين بس و هتلاقيني موجود معاكي..

طبع قبلة على شفتيها.. رقبتها.. صدرها.. حاول أن يتحرك قليلاً و حاولت لكنها نهضت و جلست على الفراش قائلة:

- خلاص يا رأفت متحاولش.. الموضوع خلص خلاص.. إتفضل رد عالتليفون اللي قلقك و خلاك مش مركز كدة
- لا يا حياتي الموضوع مش كدة الموضوع بس..

قاطعته:

- متحاولش يا رأفت.. قوم شوف شغلك و واجبك.. و لما تفضى إبقى قولي..

أدارت ظهرها له فنظر لها بأسى.. هو يعلم أنها على حق.. لكنها لا تعلم أنه قد يكون على حق أيضاً.. إرتدى ملابس تغطى جسده و أمسك الهاتف عازماً بعد إنتهاء القضية أن يعوضها عن ذلك في رحلة بلا هواتف.. المشكلة أنه لم يقل هذا بصوت مسموع و إكتفى أن قاله في عقله..

- ألو.
- أيوة يا أحمد خير؟
- أنا أسف لو بكلمك في وقت مش مناسب بس حضرتك قولتلي كلمني في أي وقت..
- بعد إيه بقى.. مهو أنا اللي غبي..
- أفندم
- لا ولا حاجة.. خير يا أحمد..
- أنا وصلتله...

****

- أنا عايز أبطل...

ظل علي صامتاً ليكمل هادي:

- أنا لما كنت بعمل كدة كنت بعمله عشان بستمتع بيه.. و لو على إختياراتي فكانت عشان مضطرش اقتل حد ملوش ذنب.. لكن لما يبقى واجب و إنقاذ و مسئولية .. لأ.. أنا مش دة..
- و بعدين؟
- أنا ساعدتك كتير و قفلنا مواقع زي دي كتير و خلينا الناس تخاف.. يعني إنت لو دخلت أي بث و حطيت بس لوجو الأرنب بتاعك كل اللي بيتفرج هيقفل الموقع و يخاف.. و هتبقى نجحت من غير ما تضطر تلجأ لواحد زيي..
- و بعدين؟
- و بعدين إيه؟
- إنت هتعمل إيه؟

- هرجع أتعامل بلي لي، الموضوع كان أريحلي و كنت مستمتع بيه جداً و بعمله كل ما أبقى عايز أعمل كدة.. مش فرض..
- و أنا موافق

هادي بمفاجأة:

- موافق؟
- آة إستغربت ليه؟
- لا مستغربتش.. أنا بس..

قاطعه علي:

- متخيلتش إن الموضوع بالبساطة دي.. إفتكرت إني هلوي دراعك بالفيديوهات صح!
- يعني أة..
- لأ يا عم مش هعمل كدة.. هسيبك تعمل اللي إنت عايزه.. بس بشرط واحد..
- إيه؟

صمت علي دقيقة مرت دهراً على هادي قبل أن يقول:

- تقابلني بكرة.

سمع هادي رنين جرس الباب فقال لعلي:

- متفقين .. بس أنا اللي أحدد المكان..
- متنفقين... روح إفتح الباب اللي صدعني دة... و شوف هتحدد أنهي مكان و إصل قولي

أغلق هادي المكالمة و إتجه للباب بجهد ... نظر من العين ليرى ضابط شرطة يقف بظهره أمام الباب يتحدث مع الكثير من الجيران المتجمعين أمام شقته.. ثم عاد الضابط ليضغط على جرس الباب ليرى هادي وجهه.. ذلك الضابط هادي يعرفه جيداً..

****

الفصل السادس

دخلت فودكا الكافيه بثقة لتستدير جميع الرؤوس لها كالعادة.. لم تعر أحدهم إهتمام و إتجهت إلى طاولتها.. وجدت عليها الفتاة الرقيقة ذو الأعين الرمادية تجلس و بين يديها نيكافيه المارشميلو.. إقتربت منها فودكا قائلة:

- لو سمحتي يا حبيبتي ممكن تغيري الترابيزة..

ظهرت على وجه الرقيقة ملامح الإستنكار قائلة:

- طب ما تقعدي إنتي على ترابيزة تانية!

حاولت فودكا التحكم في أعصابها و هي تقول:

- معلش أنا بقالي سنين متعودة أقعد في الترابيزة دي..
- يا حبيبتي ماشي.. مفيهاش حاجة لو غيرتي المرة دي بس.

نظرت فودكا إليها نظرة أحرقتها و هي تقول بغضب:

- بقولك قومي يا ماما عايزة أقعد مكاني!

إلتفتت الرؤوس إليهم و لفتت الأحداث نظر العاملين في المكان ليركض خالد إليهم قائلاً:

- أستاذة فودكا حمد الله عالسلامة.. إيه الغيبة الطويلة دي..

ثم نظر إلى الفتاة قائلاً:

- أنا بعتذر لحضرتك جداً يا أستاذة لو سمحتي ممكن تنقلي على ترابيزة تانية و ليكي مشروب Free من المكان..

نظرت الفتاة لفوكا شذراً و نهضت قائلة:

- لأ شكراً.. مش عايزة مشاريب... خليها تشبع بالمكان..

تقدمت فودكا إليها مادة يدها فأمسك بها خالد قائلاً:

- خلاص يا أستاذة فودكا هي سابتلك الترابيزة.. مفيش داعي لمشكلة...

قالت فوكا بغضب مضاعف:

- إنت لو قولتلي يا أستاذة دي تاني أنا هزعلك في رجولتك.

تقهقر خالد عدة خطوات ناظراً للأرض قبل أن ينسحب بدون كلمة.. جلست فودكا و أخرجت سجائرها و قداحتها و اللاب توب الخاص بها.. أشعلت سيجارة و فتحت اللاب توب تعبث في أزراره ، تقدم إليها النادل و بدون كلمة وضع أمامها كوب البابونج.. نظرت إليه بطرف عينيها قبل أن تترك ما بيدها و تلتفت بجسدها إليه باحثة بعنيها عن خالد فلم تجده.. زفرت و عادت إلى اللاب توب تعبث به و هي ترشف من كوب البابونج .. دقائق و شعرت بالهدوء و إرتخاء الأعصاب.. رفعت يدها عن الأزرار و نظرت للكافيه متأملة رواده.. لاحظت خالد الذي يعمل في نطاق بعيد عن طاولتها.. قدم المشروب لطاولة بعيدة و إلتفت ليجدها تشير إليه كي يحضر لها...

تقدم خالد متردداً فقالت فودكا:

- إيه يا أبو قمصة إنت زعلت؟

قال خالد بصوت جاد:

- لأ يا فندم حضرتك عندك حق.. إنتي عميلة في المكان و أنا شغال فيه و مكانش لازم أتدخل..
- و الله!.. أقعد يلا..

نظر إليها لائماً فقالت:

- أقعد ياض بقى ميبقاش قلبك خفيف..

جذبته من يده ليجلس في الكرسي المقابل لتقول هي:

- زعلتك أوي هزعلك في رجولتك دي؟
- يا فودكا ما هو...

قاطعته بحماس:

- بسسسس.. اللهم صلي عالنبي.. ما إنت بتعرف تقول فودكا من غير أستاذة و مدام و ناظرة و حضرتك أهوه.. أنا قولت دة الأبديت بتاعك..

ضحك خالد فقالت:

- قوم يا عم و متزعلش... بس إياك أسمع أستاذة دي تاني.. مش إحنا صحاب؟
- أيوة
- خلاص بقى مفيش بين الصحاب ألقاب.. خربش عالكلام..

تعالت ضحكته فقالت:

- بقولك إيه هو آخر مرة هادي جيه فيها كانت إمتى؟
- أستاذ هادي بقاله قرب الشهر مجاش ..
- تاني يا عصام! أستاذ هادي تاني!
- عصام مين؟
- لأ إنت إسرح عشان أنا بقفل من اللي مبيفهمش قلشاتي... قولي.. موبايلي فين؟

إنتبه متذكراً:

- آة صح دة هنا من أخر مرة.. أنا فضلت محافظ عليه مشحون عشان لو هتتصلي عليه أي وقت..
- عيب عليك يا خلودة.. أنا ماشية و عارفة إني سايباه في مكاني و هرجع ألاقيه.. متشكرة يا رجولة..
- لا شكر على واجب يا أستاذ...

قاطعته بنظرة فقال مصححاً:

- يا فودكا.

إبتسمت قائلة:

- طب هاتهولي و هاتلي بابونج تاني عشان مولعش في الكافية كله...

إنصرف ملبياً طلبها فنظرت فودكا إلى الفتاة التي تشاجرت معها و هي تجلس على طاولة أخرى منشغلة في قراءة رواية فنهضت تاركة طاولتها و إتجهت إليها.. حاولت رسم إبتسامة على وجهها ففشلت و إستسلمت للغضب الذي يحتله .. توقفت أمامها قائلة:

- إنتي يا بنتي..

رفعت الفتاة رأسها لفودكا في إهمال فقالت فودكا:

- متزعليش أنا بس مبحبش أقعد غير على ترابيزتي..

قالت الفتاة بلامبالاه:

- المرة الجاية إبقي إكتبي عليها إسمك..

حاولت فودكا عدم حش رأسها أو مسح رأسها في أرضية المكان فقالت:

- بصي يا بنتي إنتي ملكيش دعوة.. أنا بس الدنيا مش متظبطة معايا و متعصبة و معلش إنها جت فيكي..

و دون أن تنتظر رد فعل إلتفت عائدة إلى طاولتها فقالت الفتاة:

- إسمي إيلين...

إلتفت فودكا إليها قائلة:

- و أنا فودكا..
- إسمك فودكا؟
- أيوة
- إسمك جميل
- فعلا؟!

إرتسمت إبتسامة خفيفة على وجه فودكا و عادت إلى طاولتها.. جلست على كرسيها و فتحت اللاب توب.. إبتسمت مرة أخرى لتسمع صوت إلين قائلة:

- إيه بقى الحلو في الترابيزة دي و أنا مخدتش بالي منه؟

رفعت فودكا بصرها لتجد إلين تقف أمامها مستندة على الكرسي بكفيها فقالت فودكا:

- بصي يا حبيبتي.. لو شايفة إن الموقف اللي حصل دة هيخلينا صحاب و ننزل نتقابل و نقعد على نفس الترابيزة دي تبقى غلطانة.. إنتي جديدة في توباكو.. روحي لأي حد جوة حدود المكان و إسأليه على فودكا..

إرتسمت الصدمة على وجه إلين و قالت معتذرة:

- أنا أسفة مكانش قصدي .. أنا بس كنت جاية أسألك عن..
- لا تسأليني ولا أسألك يا بنت الناس.. أنا بقعد هنا عشان أصفي دماغي متجيش إنتي توجعيهالي..

نفضت إلين رأسها عدة مرات و تراجعت خطوتان قبل أن تعود لطاولتها و هي تضرب كفاً بكف، نبتت دمعة في عين فودكا خطفتها بكفها مسرعة قبل أن يلاحظها أحد ، لكن هناك على تلك الطاولة البعيدة.. كان هناك من يلاحظ.. كان هناك من يراقب بحرص.

*****

فتح هادي الباب مبتسماً بين جروحه فإلتفت إليه الضابط مبتسماً و إنتبهت بعض الرؤوس الفضولية.. ما إن رآه هادي حتى إتسعت إبتسامته مؤدياً التحية العسكرية.. كان ذلك الشرطي صديق والده و تلميذه .. شاهد هادي من اللحظة الأولى.. يملك معه ذكريات طفولة ليست بالقليلة.. مد يده بالسلام و إحتضنه متألماً من جروحه و فرط الحنين لفترة غابت عنه.. دعاه للدخول فتقدم بضعة خطوات داخل الشقة و عيناه تدور في المكان متذكراً و هو يقول:

- الشقة متغيرتش خالص..
- محبتش أغير حاجة فيها عشان تفضل ريحتهم و ذكرياتهم فيها..

إبتسم و هو يجلس على الأريكة قائلاً:

- ربنا يرحمهم.. ها يا بطل قولي.. أخبارك إيه؟
- و الله كله تمام يا عمي الحمد لله.
- يابني القفلة على نفسك وحشة.. أنا معاك إن فراقهم صعب.. بس دة عدى سنين يا هادي و إنت لسة في عز شبابك ، متضيعش عمرك عشان السنين دي مش هتقدر تعوضها.
- مهو أنا كل فترة كدة بنزل أقعد في كافيه كدة أغير جو.
- لأ اخرج و اتعرف على صحاب و حب و إتجوز و إشتغل.. عيش يا هادي.
- هحاول يا عمي و الله.
- و انا عمك زي ما بتقول يا هادي.. لو إحتاجت حاجة في اي وقت كلمني من غير ما تفكر .. انا اة ليا ولاد اخواتي لكن فعلا ربنا يعلم معزتك عندي. إنت مش إبن استاذي و رئيسي و اخويا الكبير.. إنت إبني .
- أنا عارف يا عمي.. ربنا يخليك ليا و ميحرمنيش منك يارب... قولي صح.. إنت لابس ميري و الناس ملمومة.. إنت جاي في شغل ولا إيه؟
- لأ دة أنا كنت في زيارة رسمية هنا في المنطقة قولت أعدي عليك و الناس إتخضت لما لقيتني داخل كدة.. قولي بقى...مين اللي عمل فيك كدة؟

نسى هادي تماماً أمر الجروح و الضمادات، يعلم تمام العلم أن أي حجة لن تخيل على ضابط مخضرم مثله فأجاب بدون تردد:

- شوية عيال طلعوا عليا ضربوني و سحلوني و خدوا مني الفلوس اللي كانت معايا.. لولا واحد معدي بتاع عيش لقاني مرمي الصبح جمب الرصيف مش قادر اتحرك مسابنيش لحد ما اتاكد اني بقيت كويس

إتسعت عيناه صدمة و دهشة قائلاً:

- و مكلمتنيش ليه؟
- إنت عارف اني مبشيش بتليفونات.
- يابني ما هو دة مينفعش.. خلي الموبايل للطوارئ حتى .
- إنت عارف إني مبحبهومش.. سيبك مني أنا بقيت تمام.. تشرب ايه؟
- يا عم إنت قادر تقف.. أقعد و انا هقوم اعملنا.

نهض الضابط فوقف هادي ممسكاً بيده:

- يا عمي لأ و الله ميصحش..
- يابني اقعد أنا عارف البيت دة حتة حتة قبل ما انت تدخله.. و بعدين انا مش ضيف.. ولا انت معاك شقاوة جوة مش عايزني اشوفها؟
- لا طبعا يا باشا و بعدين انت مش محتاج تدخل عشان تشوف.. لو في حاجة جوة انت هتعرفها من و انت عند باب العمارة.

ضحك و هو يتحرك للمطبخ لتصتدم أنفه برائحة القمامة التي بجانب بابه.. قمامة رائحتها غريبة و مقززة.. فيها رائحة مألوفة لكنها بعيدة تمام البعد عن الروائح العادية لتلك الأشياء.. وقف ناظراً لها و للسائل الذي تسرب منها و تُرك بإهمال حتى جف تاركا بقعة على الارض.. منظر غريب جداً على شقة بتلك الترتيب و النظافة!.. تحرك محاولاً ترد الفكرة من رأسه و إسكات حسه الأمني و قام بتحضير كوبي قهوة و كل خمس ثوان يجد عينيه على كومة القمامة الشاذة تلك حتى إنتهى من تحضيرهم و عاد إلى هادي و عيونه تمسح الشقة مسحاً.. مسحاً ليس بعين صديق قديم.. بل بعين ضابط شرطة مخضرم!

وضع الصينية على المنضدة و جلس على طرف المقعد فقال هادي:

- قولي بقى زيارة إيه اللي تخلي القائد بنفسه ينزل يتابع؟

زفر و عاد بظهره قائلاً:

- و الله يا هادي الموضوع كبير.. القضية المرة دي كبيرة جداً و ليها فروع كتير أوي و مخلية الجهاز كله مبينامش
- قضية إيه خير؟

نظر الضابط إلى كومة القمامة و نظر لهادي قائلاً:

- لما ييجي قتها هحكيلك.. لكن اقدر أقولك إن الموضوع أكبر من قضية إبراهيم السمّاك
- ابراهيم السماك!
- لعب عيال جمب القضية دي.. الموضوع مرعب فعلاً .
- طب في حاجة تقلق؟
- مخبيش عليك كل حاجة فيها تقلق..
- طب و العمل؟
- الجهاز كله شغال و متعاون مع أجهزة كتير .. محدش بينام.
- يا مسهل.. مفيش حاجة تصعب عليك يا باشا.

نظر لكومة القمامة قائلاً:

- محدش مبيغلطش يا هادي يابني.. و في ناس غلطتها بتبقى اصغر من انها تتلاحظ.. لكن عندنا كفاءات كتير مهمتها تلاحظ اصغر الأخطاء ..

نهض قائلاً:

- المهم أستأذن أنا..
- ما لسة بدري يا عمي.
- معلش إنت عارف بقى ان وقتنا مش بتاعنا.. و انا هعدي عليك كام كمان كام يوم كدة ان شاء الله.
- أكيد ولا بتعمل زي أيام أبويا؟

- نظر مجدداً لكومة القمامة قائلاً:
- لأ، أنا أكيد جاي.

****

أدخل رأفت المفتاح في المزلاج و أداره ثم دلف بهدوء و أغلق الباب برفق، تسحب ليجد زوجته جالسة في الشرفة و وجهها للشارع و بجانبها راديو يخرج منه صوت أم كلثوم بأغنية (لا نوم ولا دمع) فتسحب للمطبخ و حضر كوبين من الشاي واضعاً في كل كوب ورقتي نعناع و تمشى على أمشاط قدميه حتى وصل للشرفة، إبتسم حين رآها تتثائب فقال لها:

- في واحدة تبقى زي القمر كدة و هي بتتاوب؟

إنتفضت و إلتفتت له فوجدته ممسكاً بالأكواب فقالت:

- و في حد زي القمر يفاجئ مراته بالعظمة دي؟
- عظمة إيه دول كوبايتين شاي بالنعناع!

أمسكت بالكوب و وضعت قبلة على وجنته قائلة:

- الشاي بالنعناع من إيدك في الجو دة مع صوت أم كلثوم عظيم جداً.

إحتضنها بيد واحدة و قبّل رأسها قائلاً:

- هو إحنا نهارنا فل ولا حاجة؟
- لأ يا أخويا النهاردة مش فل و إتلم.
- أتلم إيه ما أنا جوزك.
- إيه دة بجد!
- إيه دة إنتي محدش قالك؟
- ولا جابولي سيرة.
- طب ما تقوليهومش إني قولتلك بقى.

طرقت بقدمها الأرض و أدت التحية العسكرية قائلة:

- تمام يا فندم.

ضحك رأفت و مد يده لها لتتعلق في ذراعه و يخرجا للشرفة في الهواء.. لاحظ عليها أنها تريد أن تخبره شيئاً، حسناً فليدعي أنه أبله و لن يلاحظ.. يعشق شقاوتها و دلالها حين تكون متحمسة.. ظلت تلمح كي يسأل و ظل يتجاهل حتى قالت:

- بقولك إيه يا رأفت، مش عايز تخش الحمام؟
- إيه دة!
- مش عايز تدخل كدة تغسل وشك و إيدك و تغير هدومك من تعب الشغل؟ أو أقولك خش خد دش سخن كدة يروق أعصابك.

إبتسم و غمز لها بخبث قائلاً:

- يعني النهاردة فل زي ما قولت.
- يا عم فل و كل حاجة بس خش بقى متبقاش غلس..

قالتها و هي تدفعه برفق للداخل.. تحرك معها و هو يضحك قائلاً:

- طب و أنا هدخل لواحدي؟
- يا عم أنا جاية وراك بس إنت إدخل.

و دفعته حتى أصبح بداخل الحمام و أغلقت الباب خلفه.. وقف هو لا يدري ما يحدث .. إنتظرها عدة دقائق لكنها لم تأتي.. بدأ يشعر بملل و هو لا يفهم شيئاً، طرق على الباب فقالت:

- شوفتها؟
- شوفت إيه يا حبيبتي؟

زفرت بخيبة أمل قائلة بعصبية:

- بص عالمراية يا رأفت.

نظر رأفت للمرآة فوجد كلمات مكتوبة عليه بأحمر الشفاه.. مكتوب (بابا.. أنا في الطريق)...

لم يكن لشخص أن عادي أن يخطئ معنى الجملة.. لكن رأفت ضابط الشرطة لم يفهمها.. أو لم يصدقها.. طرق طرقتين على الباب لتفتح له و دموعها على خديها.. رأت عيناه التي تتسع دهشة و عدم تصديق قائلاً:

- هو اللي جوة دة معناه إنك....؟
- أنا حامل.

ضحكت و دموعها تحررت و هي تقفز في حضنه الذي ما إن دخلته حتى رفعها من الأرض و دفن رأسه في كتفها مدمع العينين.. ظلت في حضنه بضعة دقائق قبل أن تقول:

- أنا مبسوطة أوي يا حبيبي.

حاول رأفت السيطرة على دموعه لكنه لم يستطيع.. فربت على حضنها بقوة أكبر لتبتسم هي براحة.. أنزلها و نظر في عينيها قائلاً:

- هتبقي أم عظيمة.

****

يجلس هادي في أحد كافيهات سيتي ستارز مول المكشوفة، حرص على أن تكون المقابلة الأولى مع علي في مكان مكشوف مزدحم مراقب بالكاميرات لأنه لا يثق به.. و لماذا يثق به؟ إن سهولة قبوله بإنسحاب هادي تثير الشك إبتلع أفكاره بالقهوة و هو ينظر لساعة يده في توتر.. لماذا يمر الوقت كالسلحفاة حين ننتظر .. وقوع البلاء أهون من إنتظاره حقاً.. دب الشك في قلب هادي حين رأى ذلك الشاب على الطاولة البعيدة و هو ينظر له كل دقيقتين.. شاب يبدو انه في منتصف العشرينات.. يرتدي تي شيرت أخضر و نظارة طبية.. على الطاولة أمامه رواية لم يتبينها هادي لكن تظهر للعيان انها جديدة تماماً.. يمكن أن تكون نوعاً من التمويه.. راقبه هادي جيداً و بدأ يحلل .. يتلفت حوله كل بضعة دقائق ليلمح هادي و يلمح الابواب من حوله.. لا يوجد هاتف أمامه على الطاولة.. قدمه تهتز في توتر و أصابعه تطرق خشب الطاولة.. حبن إلتقت عينه بعين هادي أشاح ببصره و حرك أصابعه على أذنه يلملم خصلة شعر غير موجودة بسبب رأسه الحليق.. و منذ إلتقاء الأعين حرص ألا تعبر عيناه على الركن الذي يجلس فيه هادي.. و كل دقيقة يحك أنفه .. و بدأ يتصبب عرقاً.. حسناً الإحتمال الأكبر أن يكون علي.. و هذا سيجعل هادي بثقته الشديدة و إتزانه مقابل توتر و ضعف علي له الكفة الراجحة.. و الفكرة منطقية إلى حد

كبير.. إن كل من يتعاملون مع الأزرار أمام الشاشة ليس لهم شخصية في الواقع و مهزوزون جداً.. لكن إن كان علي فماذا ينتظر؟

شعر هادي بيد خبطت على كتفه و حين لف رأسه ليرى من فعل هذا كان الشخص قد دار حول الطاولة و جلس في المقعد أمامه.. ثلاثيني إنحسر الشعر عن مقدمة رأسه.. يرتدي نظارة طبية عريضة.. يرتدي قميصاً أخضر مفتوح الصدر إنحسر عن سلسلة تحمل وجه أرنب!... إبتسم بسخرية حين لاحظ وجه هادي المرتبك قائلاً:

- إيه يا عم هادي مالك! كنت فاكر إني مش جاي ولا إيه؟
- علي!
- لا يا عم مفيش علي ولا حاجة إن شاء الله.. أنا خالتك زبيدة
- ...
- هو إنت جاي تقابل حد غيري ولا حاجة؟
- لا بس..
- أنا فاهم إنك لسة مش مستوعب سهولة إني أستسلم لإنك عايز تبطل، دة حقك.. و أقولك على حاجة؟ إمسك..

وضع يده على الطاولة و سحبها تاركاً قرص مضغوط من أقراص الكمبيوتر.. نظر له هادي ثم سأله دون أن يمد يده:

- دة إيه؟
- دي فلاشة عليها كل سورسات فيديوهاتك.. يعني أنا كدة بسلمك كل الدلايل اللي عليك.. فأنت مش مضطر تحس إني بهددك أو إنك مجبر..
- بالبساطة دي؟
- أيوة.. طب أقولك على حاجة كمان.. أنا لما بعتلك السي دي اللي عليه فيديو لي لي مكانش عشان اهددك.. لكن عشان اوريك أنا قوي لدرجة إني أقدر أوصل لإيه.. عشان لما أقولك إني عايزك في شغل تعرف إني ضهر ليك.. مش العكس..
- طب و بعدين؟
- لأ السؤال دة ليك إنت.. و بعدين؟ هتعمل إيه؟ هترجع تعمل لي لي؟
- هقعد فترة إصلا مش هعمل حاجة.. محتاج أرتاح شوية.
- لأ.
- لأ إيه مش فاهم؟

إعتدل علي في مقعده و نظر لهادي بتحدٍ قائلاً:

- لأ يا هادي إنت مش هترتاح، إوعى تكون فاكرني مش فاهم إنت بتعمل إيه؟ هادي إنت كل ما تبعد عن الموضوع دة بتتجنن، عقلك بيشت، في أصوات في دماغك بتبدأ تعلى، مبتقدرش تستحمل دماغك ولا إحساسك.. فإنت عشان تهدى بتعمل كدة.. لمعة السلاح و منظر و ريحة الدم هما اللي بيهدوك و بيخلوك قادر تكمل.. خوفهم و ألمهم و طلبهم للرحمة هو اللي بيخليك تحس بالمتعة.. نظرة الضعف في عينهم هي اللي معيشاك.. فمتكدبش عليا عشان أنا كنت صريح معاك من الأول.. إنت هترجع تعمل لي لي و بسرعة.. و مجهز ضحيتك الجاية كمان.. صح؟

مع كل كلمة كانت تتسع عيني هادي ذهولاً.. قطع شروده علي قائلاً:

- أنا عندي متعة تانية خالص.. متعة الفرجة.. محبش أوسخ إيدي ولا أنفذ.. أنا بتاع زراير بس.. لكن مكنتش بقدر أستحمل أشوف الأطفال و الناس اللي مخطوفين و ملهومش ذنب دول بيتعمل فيهم كدة من غير ذنب.. خلينا نقول إن كل واحد عنده ذنب يستاهل الموت عليه.. محدش ضيف 100% لكن ذنب عن ذنب يفرق..

- طب .. إنت طالب مني إيه؟
- أنا عايز فعلاً المصلحة العامة.. إنت و توصل لمتعتك مع ناس تستاهل دة.. و أنا و أمارس متعة المشاهدة مع ناس تستاهل دة.
- طب .. عايزني.. أعمل.. إيه؟
- هنكمل، بس بطريقتك.
- إزاي؟
- هوصلك ليهم برة الريد روم.. و إنت إتعامل بطريقتك.. عايز تقابلهم بلي لي.. بالأرنب.. بوشك العادي.. براحتك..و قبل كل مرة هبعتلك الدليل على إنه شخص يستاهل.. تمام يا عم؟
- و المقابل يا علي؟
- الكاميرا اللي هتنقلي أنا اللي بيحصل.. بس
- ...
- خد وقتك و فكر يا هادي.. بس أنا عايز أقولك حاجة.. أنت مش متضطر توافق و مفيش أي وسيلة ضغط عليك.. لكن إنت عارف إنك مش هتبطل.. و أنا مش هبطل.. و الناس دي مش هتبطل .. الموضوع مكسب عام.
- إنت عندك حق بس ..
- متردش عليا دلوقتي.. خد وقتك و رد عليا وقت ما تتأكد من اللي عايز تعمله.. و أنا أثبتت حسن نيتي و جيت و قابلتك و كمان سلمتك الفيديوهات.. يعني إنت مفيش أي ضغط عليك و أياً كان قرارك أنا هحترمه.
- ماشي يا علي.. هاخد وقتي و أرد عليك.
- و أنا هبقى مستنيك. لكن أنا دلوقتي مضطر أمشي عشان مش متعود أبقى برة اوضتي أصلاً.. لما توصل لرد إنت عارف هتوصلي إزاي.

****

الفصل السابع

توقفت سيارات الشرطة أسفل البناية بحي باسوس، مبنى صغير من ثلاثة طوابق ملقى بين المبان المتراصة، هبط رجال الشرطة بقيادة (رأفت) بين أعين الناس المتسائلة و الفضولية و القلقة، تقدم رأفت و من بعده القوة إلى الدور الثاني بخفة و هدوء، توقف رأفت أمام الباب و من بعده أحمد و إنتشرت باقي القوة على الدرج بالثلاث طوابق، طرق رأفت الباب شاهراً مسدسه.. ثوان و سمع حركة خافتة بالداخل ثم فتحت سيدة أربعينية بملابس المنزل.. أشار رأفت لها بأن تصمت و تحرك هو و أحمد و بضعة عساكر داخل المنزل.. دلف رأفت إلى غرفة النوم فوجده نائماً، نغزه بمسدسه عدة مرات ليفتح عينه و يصتدم بما يحدث.

خرج رأفت من البداية ممسكاً به بعد أن قيده بالأصفاد ، دفعه إلى مؤخرة السيارة و صعد بجانبه عدة عساكر و دلف رأفت في المقعد الأمامي بجانب السائق.. إنطلقت السيارة مطلقة البوق المميز لسيارات الشرطة و رأفت مبتسماً لإنتهاء القضية.

***

يجلس هادي في غرفة مكتب فخمة ديكورها أشبه بغرف منزله.. يرتشف من كوب قهوته و يراقب تلك الشاشة الكبيرة، الشاشة التي تعرض كافيه توباكو بالكامل من ثلاثة زوايا ليست علوية كباقي الزوايا، بل من أماكن خفية في الجدار و البار و على منضدة ما في زاويته، يراقب شخص ما على طاولة ثمانية، شاب ثلاثيني متوتر يلتفت دائماً و ينظر في ساعته كل خمس ثوان، كلما دخل أحد الكافيه أو عبر أحد من جانبه نظر لوجهه متفحصاً... فتح هادي أحد أدراج المكتب و أخرج هاتفاً شكله مميز.. كأنه صنع خصيصاً لأجله، إستدعى رقماً من سجل المكالمات و ضغط زر الإتصال، ثوان و شاهد الجالس على الطاولة ينظر في هاتفه قبل أن يقبل المكالمة واضعا التليفون على أذنه:

- ألو؟
- إنت وصلت؟
- أيوة أنا قاعد في المكان أهوه
- حاول متخليش شكلك مريب لحد ما أجي.
- طـ طب المكان هنا أمان!
- أمان متقلقش.. خمس دقايق و هقابلك.

لم ينتظر رده و أغلق المكالمة، أمسك بجهاز التحكم و أغلق الشاشة قبل أن يعيد الهاتف لدرج المكتب و يغلقه بالمفتاح، أمسك بفنجانه الفارغ و خرج من الباب لغرفة تغيير الملابس الخاصة بكافيه توباكو، أغلق الباب بالمفتاح و إلتفت لخالد الذي يتناول شطيرة فقال و هو يناوله الفنجان:

- خلص البريك بتاعك و إنزل الصالة على طول عشان في ضغ شغل النهاردة.

لم ينتظر رد و خرج من غرفة مكتوب عليها لافتة للعاملين فقط ليصبح بداخل صالة الكافيه، رسم إبتسامة على وجهه و إتجه لطاولة رقم ثمانية، ما إن وجه الشاب يقترب ناظراً له نهض فجأة لتلتفت الرؤوس إليه فقال له هادي:

- يابني إيه اللي بتعمله دة إهدى!

فقال الآخر متردداً:

- لأ أنا تمام ، أنا بس مش متعود أقابل الزباين في كافيه و كدة.
- مقلقش الكافيه دة أأمن مكان ممكن نتقابل فيه.. المهم، الحاجة معاك؟
- في شنطة العربية..

- طب حلو أوي.. تعالى نطلع مكان أمان نبدل فيه .. إسبقني عالعربية و هحصلك.

نهض الشاب غادر فأشار هادي لنادل و ناوله نقوداً فقال النادل:

- إزاي يعني يا أستاذ ها..

إقترب هادي منه و همس في أذنه مقاطعاً:

- إنت مرفود.

و مد خطواته حتى وصل للسيارة المتوقفة في زقاق جانبي تتوارى عن الأعين، يقف خلفها الشاب ينظر حوله حتى وجد هادي من خلفه يقول:

- أنا هنا.

إنتفض الرجل و كاد أن يلتفت لولا المحقن الذي إنغرس في عرقه السباتي بدقة و إحترافية شديدة ليسقط ليهوى الشاب بجسده على مؤخرة السيارة، سانده هادي و فتح حقيبة السيارة لتظهر طفلة لا تتغدى الغشر سنوات مقيدة و مكممة ما إن إنفتح الباب حتى صرخت ككمتها قطعة القماش التي في فمها و تلتف حول رأسها، دفع هادي الشاب بجانبها و أغلق حقيبة السيارة ثم دلف إظلى مقعد السائق، أدار المحرك و إنطلق.

*****

أدار رأفت المفتاح في المزلاج و دخل بهدوء و هو يحمل أكياس إنتبهت زوجته من خشخشتها فركضت إليه و ألقت بنفسها في أحضانه ليترك الأكياس تسقط أرضاً و يحيطها بذراعيه الحانيتين، إقتحم أنفه عطرها التي تضعه في ليلاتهم الخاصة، إبتسم و قد بدأ يسترخي .. أراحها من بين يديه لكن يدها أحاطت برأسه ناظرة في عينيه و هي تقول:

- مبروك يا حبيبي عالقضية، إنتصار عظيم.
- ما هو وراء كل رجل عظيم بقى.
- تؤ، دة أنا ساعات كتير ببقى حمل عليك و بعطلك أو أنكد عليك و إنت في عز شغلك و برضه لا بتقصر معايا ولا بتقصر في شغلك.
- بتقولي إيه؟ حمل!... عارفة الحاجة الوحيدة اللي هتكوني حمل عليها هي إيه؟
- إيه؟
- رخامة المطبخ كمان خمس دقايق.

لكمته بخفة على كتفه و هي تشير إلى بطنها قائلة:

- يا جدع وطي صوتك الواد يسمع.
- ما يسمع.

و نظر لبتنها قائلاً بصوت عالي:

- ولا، خدلك يمين أو شمال كدة.

لكمته في كتفه بقوة و إحراج و هي تضحك بينما إحمرت وجنتاها خجلاً من كلامه فقال:

- دة الحوار صحي و مفيد ليكي و للبيبي.

غمز لها و هو يقول:

- و أنا يهمني مصلحتكوا.

****

تقدم هادي خطوتان متفحصاً ليجد أن عيني الشاب تتحرك في محجريهما و هم مغلقتان.. قرب يديه بمنديل يحمل رائحة نفاذة ما إن تسربت إلى رئتي الشاب المقيد حتى شهق بقوة جذباً للأنفاس، حين إستعاد الوعي بدأت عينيه تدور في المكان محاولاً الإستيعاب. مكان قديم يبدو أنه تم هجره منذ زمن، ثلاثة مقاعد خشبية مثبتة في الأرض، على الكؤسي الأول يجلس هو مقيد بحبال غليظة عطلت جسده عن إبداء أي رد فعل، على يمينه جلس هادي على الكرسي الثاني في هدوء ناظراً بتحفز له، و على الكرسي المقابل للأول جلست الفتاة الصغيرة بقيدها و ملابسها المتسخة تنظر له بنظرة ثابتة، حين إستوعب الموقف قال لهادي برعب:

- طب مقولتليش شليه إنك ليك في الشباب برضه كنت عملتلك عرض حلو.. إنت فكني و أنا نص ساعة و هتلاقيني جاي مع شاب مستعد يمضيلك إنه موافق على كل حاجة هتعملها فيه حتى لو وصلت لموته.. و مش مخطوف.. كله برضاه..العيال دي في منها كتير دلوقتي و أنا بتعامل معاهم من فترة.. إنما انا مش كدة.. أنا بس راجل بياكل عيش... إنت بتبصلي كدة ليه؟

نهض عادي و على وجهه أعتى علامات الشر و الزفر.. نظر للفتاة التي تنظر للموقف بتقزز و شماتة ليتجه هادي إلى ركن لم يصله الضوء الخارج من اللمبة الصغيرة المتهالكة و عاد يحمل في يده سكين كبيرة ما إن رآها الشاب حتى صرخ و هاج بهستيريا لكن هادي أمسك بشعره جاذباً رأسه للخلف كاشفاً عن رقبته ، وضع عليها السكين و نظر للفتاة لتحرك الفتاة رأسها بالرفض.. و أشارت أن يتجه للأسفل.. ترك هادي رقبته و إلتف حوله و ضع حد السكين على صدره ناظراً لها لتعلن رفضها ثم تشير إلى الأسفل.. نظر لها في إستغراب قبل أن يشير إلى بين فخذيه فأبتسمت الفتاة و هزت رأسها و هي مغمضة عينيها بالموافقة ليصعد الدم في رأس هادي و يرفع يده بالسكين في الهواء ثم يهوي بها ليقطع له حلاله و تنفجر الدماغ و يصرخ الشاب بصوت رغم إزعاجه إلا أنه أسعد الفتاة كثيراً و أمتع هادي الذي إحتضن رأسه بيسراه قبل أن يخترق صدره بالسكين ثم يخطف عنقه بها في أقل من ثانيتين لتنفجر الدماء لتغطيهم سوياً بينما ملامح المتعة تظهر على وجه الفتاة التي قفزت عدة قطرات إلى وجهها.. نظر لها هادي و هو مستمتع من منظرها ، هناك فتاة شهدت رد حقها بل و تحكمت فيه، فجأة نبت في عقله ذكرى خاطفة لطفل يرتدي تي شيرت أخضر يحمل حرف F باللون الأحمر.. سقف ممسكاً بجاكوش يقطر دماً مع وجهه و ملابسه، لم يتمالك هادى أعصابه ولا الصداع الكافر الذي ضرب رأسه ليهوى على ركبه ثم يسقط أرضاً بين الدماء

****

سحب رافت يده إلى فمه يتذوق العسل في متعة حقيقية، العرق مختلطاً بالعطر جعل الرائحة زكية مثيرة، وجهها الذي لمعت بشرته و عيناها المرهقتان تأوهاتها التي تخفت تدريجياً حتى بعد أن إنتهت المعركة، أنفاسها العميقة و صدرها الذي يعلو و يهبط كمن ركضت شهراً، أصابعها التي تلامس أصابعه و يده التي تربت على كتفها ، يده الأخرى على ظهرها تتحرك بلطف و رأسها على صدره تسمع ضربات قلبه العالية المتسارعة، خطرت في رأسها فكرة فقالت:

- نسميه نادر...
- نادر!

بنفس نتهدج متعب قالت:

- هو.. هييجي بعد ما... بعد ما تعبنا و قطع... و قطع نفسنا.. و عشان.. لو ربنا مكرمناش بعده بأخ أو أخت.. يبقى هو نادر.

يعلم أنها ستغير رأيها عندما تستفيق من سكرات المتعة فقال لها:

- طب لو بنت؟
- غالية.

نطقتها دون تفكير ليبتسم قائلاً:

- ماشي يا أم غالية.

****

رائحة الدماء تغزو رئتيه، فتح هادي عينه ليجد نفسه ملقى على الأرض، الفتاة إختفت و كذلك الشاب، معالم المكان تغيرت، لا توجد نقطة دم واحدة في أي مكان.. تسربت إلى أذنه نغمات أغنية Cool Hearted Women .. أغمض عينيه بقوة ليحاول تذكر و إستيعاب ما حدث ليسمع صوت يعرفه جيداً:

- إيه يا هادي مالك.. لسة بتجيلك فلاش باكس؟

فهم هادي الموقف منذ سماع الكلمة الأولى فقال:

- عمري ما كان هييجي في دماغي إنك إنت اللي ورا اللي حصل دة يا عم.
- وحشتني و قولت أشوفك.
- إنت خرجت إمتى أصلا؟
- من 3 شهور بس كنت باخد لفتي و قولت أسأل عليك.
- طب و أنا هفضل مربوط كدة، ما تيجي يلا يا إبن ديك الكلب تفكني عشان أعرف أحاسبك.
- لاااااا، منخشش على شغل بعض الحساب دة بتاعي أنا..
- ماشي يا عم المحاسب فكني...

تقدم الشاب ذو التي شيرت الأصفر الذي يحمل بطة من خلف مقعد هادي و سحب عقدة واحدة من الحبل لينفك الحبل كله، نهض هادي و إلتفت له قائلاً:

- محدش غيرك عنده القدرة يعمل كل دة بالسرعة دي.
- لا عيب عليك أخوك سندال.
- اااااااااااااااة، أهوه دة اللي كنت خايف منه من قاعدتك جوة، أديهم لعبوا في لسانك.
- No one could to do It dude
- لا ما هو باين بإنجليزي السمكرية دة.

ضحك الإثنان بصوت عالي و أحضتنا بعضهم في حنين و إشتياق حقيقي قبل أن يقول هادي:

- وحشتني يا سايكو.
- متشوفش وحش يا عم، إيه كل اللي عرفته عنك دة؟
- هبقى أحكيلك
- و تحكيلي ليه ما أنا عارف كل حاجة
- آة دة إنت صح

أخرج سايكو من جيب بنطاله مصاصة و وضعها في فمه قائلاً:

- إنت فكت منك عالأخر يا هادي..

- ما تعدل أم لسانك عشان أنا حاسس إني قاعد مع رد سجون.
- و هو أنا رد مطلقة؟

ضحك هادي قبل أن يقول:

- دة على أساس إنك مكنتش قادر تخرج من جوة في أي وقت، دة أصلا أنا مش فاهم إنت سيبتهم ياخدوك إزاي أصلاً؟
- أبداً يا سيدي كان عندي حساب بلمه جوة..

نظر هادي لملابس سايكو قائلاً:

- إنت لسة بتلبس التشيرتاية دي؟
- أهوه من وقت للتاني كدة.
- هتخلي عن دور الناصح عشان عارف إنك متخلف.
- حصل و أنا شاهد.
- جاي ليه؟
- عشان ألحقك.. في حد يقع الواقعة دي قدام البت؟
- شكلها و على وشها الدم دة فكرني بالذي مضى.
- يا عم فكك و عيش.
- إنت محتاج تتخلى عن دور الناصح إنت كمان عشان مش لايق عليك.
- إيه دة فعلاً؟ مع إني كنت بتدرب عليه كتير جوة.
- ممثل فاشل طول عمرك...

قضم سايكو المصاصة و أعاد العصا البلاستيكية إلى جيبه قائلاً:

- يا عم فكك.. أنا عندي خبر حلو ليك.
- حلو! يبقى ربنا يستر.
- أنا جاي أقتلك....
- إحكيلي...
- جالي عرض أدور عليك و أوصلك و أقتلك و أجيب إثبات إنك إنت نفس الشخص المقصود مقابل 8 مليون...
- مصري؟
- هو أنا برضه بتعامل بمصري؟
- طب يابن العبيطة إزاي هتفوت الفرصة دي؟ أنا إزاي عايش أصلاً؟
- متقلقش هييجي وقت و أقتلك ، بس مش عشان فلوس، عشان مش طايقك.
- أصيل يا أبو رحاب، و هتعمل إيه؟
- نبهتك عشان تاخد بالك من الورق اللي بتسيبع في كل مكان و انا ماشي بلمه من وراك.
- ماشي يا عم تسلم يا أبو الصحاب.
- حبيب أخوك.

و تمشى سايكو واضعاً يديه في حيوب بنطاله دون كلمة أخرى، ظل هادي يراقبه حتى إختفى في الظلام فقال لنفسه:

- أم البطة اللي إنت لابسها دي يا عم.

****

تجلس فودكا في الكافيه و تعبث على اللابتوب بتركيز ، عيناها تتحرك بسرعة على الشاشة و يصعد الدم إلى رأسها وهي تضغط بسرعة على عدة أزرار.. تفرد قامتها و تشد أعصابها و تقترب من الطاولة في حماس.. قبل أن ترخي أعصابها و تهوى على مقعدها في يأس، وجدت يد طرقت على الطاولة بصوت عالي فإنتفضت ناظرة للفاعل لتجده هادي، مبتسماً كعادته فقال:

- الأهلي خسر ولا إيه؟
- أهلي إيه يا عم دلوقتي..
- معرفش حسيت من شكلك إنك بتتابعي هجمة مهمة ولا ضربة جزاء..
- لأ مش ضربة جزاء.. دي كانت ضربة قاضية..
- خير؟
- مفيش خسرت فلوس كتير حالا في رهان.
- رهان؟ إنتي ليكي في المراهنات؟
- أومال أنا باكل منين يا عم هادي؟
- معرفش مقولتليش قبل كدة.
- فكك.. معاك فلوس؟
- عايزة كام؟
- 3000.

أخرج هادي محفظته و نظر بداخلها ، ثم نظر لفودكا قبل أن يمد يده لها بكارت فيزا قائلاً:

- إسحبي اللي إنتي عايزاه و هاتيها..
- ماشي.. مش هتديلي رقم تليفونك بقى عشان أكلمك أديهالك؟
- المرة الجاية يا فودكا.
- يادي المرة الجاية.. لو معاكش تجيب تليفون قولي هسلفك.

قالت جملتها الأخيرة و هي تلوح بالكارت الخاص به فضحك قائلاً:

- أيوة انا عايز خمسين مليون دولار أمشي بيهم نفسي لحد أول الشهر.
- طب عدي عليا في المكتب بعد مواعيد الشغل الرسمية.

ضحك الأثنان فقالت:

- مين اللي خرشمك كدة؟
- متشغليش بالك.. إنتي اللي كنتي مختفية فين؟
- مختفية!.. أنا كنت مختفية؟
- أيوة قعدتي كتير متجيش و لما روحتلك البيت قعدت أخبط محدش فتح!
- كنت في إسكندرية كام يوم.
- طب ما قولتيش ليه؟
- يابني هو إحنا بنقول حاجة أصلاً.. أنا كل ما أسألك هشوفك تاني إمتى تقولي هنتقابل في توباكو...
- طب ما إحنا بنتقابل فعلاً.
- هادي هسألك سؤال و جاوب عليا بصراحة و تأكد إن الإجابة لو معجبتنيش هعينك...
- إيه دة في إيه؟ ما تسألي يا ستي!
- هو أنا أخر مرة أدائي معجبكش؟

- إيه؟!
- يعني مكنتش عالمستوى؟ عملت حاجة قفلتك!
- إنتي إيه رأيك؟
- لأ أنا تمام. بس أنا من ساعتها حاسة إنك متغير معايا...!
- متغير إزاي؟

صمتت قليلاً في تردد قبل أن تقول:

- خليني أقولهالك بطريقة تانية.. لو أنا قولتلك تعالى أقعد معايا النهاردة عشان محتاجالك.. هتيجي؟

نظر لها هادي نظرة خاوية ثم قال:

- بصراحة... لأ.

إختفت إبتسامتها و إبتلعت نصف كوب البابونج دفعة واحدة قبل أن تغلق شاشة الهاتف و تنظر لهادي قائلة:

- طب لو أنا فعلاً محتاجالك يا هادي؟ عايزة أقعد أتكلم معاك.
- لأ يا فودكا...

بهتت فودكا في لحظة و شردت تسترجع حياتها السابقة قبل أن تقول:

- إنت تعرف لو أنا زعلت هبقى زعلت ليه؟
- ليه؟
- عشان أنا اللي حلفت ما أدي لحد أي فرصة..

صمتت محاولة كتم دموعها فنهض هادي و جلس بجانبها ممسكاً بيدها و هو يقول:

- بصي يا فودكا.. إحنا متفقناش على حاجة و كل حاجة بتيجي بوقتها و انا عاجبني كدة.. لكن نتفق و نخطط و نحتاج لبعض؟ لأ يا فودكا.. متدينيش دور كبير عليا أنا أكتر واحد عارف إني مش هطلع قده.

نظرت له كاتمة لدموع تجمعت على مقلتيها فقال:

- خلي كل حاجة تيجي صدفة و بوقتها.

جففت دموعها بأصابعها و هي تحاول التماسك و قالت:

- عندك حق، إحنا من الأول متفقين إننا منتفقش..

أكملت و هي تلملم حاجياتها:

- مش عايزة أسألك هقابلك تاني إمتى عشان عارفة إجابتك.

أمسك يدها و وقف ملاصقاً لها و قال هامساً:

- طب متمشيش... ممكن نقعد نتكلم هنا ولا لازم نتكلم في البيت؟
- مش عايزة أتكلم أصلاً..

ضمها و طبع قبلة على رأسها قائلاً:

- حقك عليا .. خلينا نقعد نتكلم هنا شوية..

إستكانت في حضنه ثم جلست فجلس ممسكاً بيدها قائلاً:

- أنا الدنيا ملخبطة معايا شوية يا فودكا و دماغي هتبقى مشغولة مش هعرف أسمعك بإنتباه كامل.. يرضيكي؟
- لأ بس كنت عايزة أحس للحظة إني فارقة معاك!
- هو... إنتي فارقة معايا.. لكن مش بالطريقة اللي إنتي فاهماها...

صمت الإثنين دقائق لم يعدوها لكن كل منهم بداخله قدس تحترق.. خرجت فودكا عن صمتها مغيرة دفة الموضوع و قالت:

- تسمع أغاني؟
- أسمع

****

يجلس رأفت في مكتبه منهمك في كتابة التقارير ، سحب النفس الأخير من سيجارة وأدها في منفضة مليئة بالأعقاب، بدأت أصابعه تصرخ ألماً من الكتابة..

***

زوجته على الأريكة تشاهد أحد الأفلام قبل أن يتصاعد ألم خفيف أسفل بطنها، نهضت و تمشت ذهاباً و إياباً في الصالة لكن الألم يزداد.. ماذا يحدث!.. ركضت إلى الحمام لتفرغ ما في معدتها و الوجع يشتد..

****

أنهى رأفت تقريره الأخير و أراح ظهره على المقعد رافعاً إياه أمام عينه بفخر.. سيحصل على ترقية و مكافأة بكل تأكيد.. و يمكنه حينها الحصول على إجازة طويلة يعوض زوجته فيها عن تقصيره المستمر..

****

فغر فمها حين رأت المد الأحمر المتسرب على فخذيها فنست الألم الذي يفتك بها و هرعت إلى الصالة تبحث عن الهاتف..

****

نهض رأفت ممسكا بالتقارير قبل أن يأد سيجارة أخرى و يخرج من المكتب متجهاً لمكتب اللواء مراد هاشم.. طرق عدة طرقات ثم دخل مبتسماً، حياه و جلس مناولاً له التقارير...

****

بدأت دموعها تنهمر و هي تبحث عن هاتفها في كل مكان و الألم يفتك بها...

****

نهض رأفت و غادر مكتب اللواء حاملاً التقارير في فخر، متمشياً ببطء في الطرقة المؤدية إلى مكتبه قبل أن يشعر بغصة كافرة في قلبه ليتوقف و يسقط من يده التقارير مبعثرة على الأرض، إتسعت عيناه و تهدج نفسه و صارع ساحباً الأنفاس .. خمس ثوان مرت عليه دهراً قبل أن يستعيد أنفاسه ببطء بينما كسى العرق جسده

****

صرخت ممسكة ببطنها ألماً و وجعاً و هي تفتش كالمجنونة على هاتف كان أمامها منذ لحظات..

****

أحمد خرج من مكتب رأفت يبحث عنه ليجده واقفاً في الطرقة ، هرول إليه و سانده إلى مكتبه و ناوله كوب من الماء.. حين إستعاد رأفت أنفاسه و قدرته على الحديث سأل أحمد عما حدث ليقول:

- السفاح ...إنتحر في السجن!

لم يسمعها رأفت، كان باله مشغول بهاجس إنتفض على أثره ممسكاً بهاتفه ، ضغط عدة أزرار و وضع السماعة على أذنه، ثوان و سمع صوت صرخة زوجته ففزع من مكتبه..

****

صرخت مستنجده بزوجها في الهاتف قبل أن تنهار فاقدة وعيها على أرض الصالة بين دماءها و دموعها و أحلامها التي سقطت بجانبها...

****

فتح رأفت الباب و من خلفه أحمد ليجداها ملقاه أرضاً و الدماء تخرج من بين فخذيها فأشاح أحمد ببصره و ركض لإحدى الغرف منتزعاً ملاءة من الدولاب و عاد لرأفت الذي حمل زوجته ليغطيها بها قبل أن يقفزوا في المصعد ثم في السيارة..

****

فتحت زوجته عينيها و الألم يفتك بها لتجد رأفت على مقعد السيارة و رأسها على فخذه و يده تعتصر يدها في قلق، نظر لها و قال شيئاً ما لم تسمعه لكنها شعرت بالإطمئنان بين يديه و أغمضت عينها...

****

إقتحم رأفت المستشفى و هي بين ذراعيه باحثاً عن طبيب حتى وجده، أخبره بكل ما حدث و هي على يديه تقطر دماً على الأرض، أتت الممرضات بالسرير المتحرك ليريحها عليه و يدفعوها إلى إحدى الغرف التي إنغلق بابها .. وقف رأفت في الخارج في نفاذ صبر و قلق يعتصر قلبه لتفر دمعة من عينيه لمحها أحمد فإقترب منه و ربت على كتفه قائلاً:

- إن شاء الله خير متقلقش..

ثلث ساعة مرت عليه كمائة عام قبل أن يخرج الطبيب بمعالم وجه غير مبشرة فقال أحمد في لهفة:

- خير يا دكتور طمنا
- مين فيكوا جوزها؟

ليقول رأفت:

- أنا.. خير إيه اللي حصل؟

ضم الطبيب ضفتيه و قال بحزن:

- للأسف فقدنا الجنين.

إتسعت عيني أحمد بينما لم يبد على رأفت أنه سمع و هو يسأل:

- هي عاملة إيه يا دكتور؟
- هتكون بخير ، لكن للأسف هنضطر نستأصل الرحم عشان ننقذ حياتها.. يعني مرات حضرتك مش هيكون عندها القدرة تخلف ...

في ثوان نبتت الدموع على عين رأفت بينما وقف أحمد عاجزاً عن قول شئ، قال رأفت بنفس متهدج محاولاً التماسك:

- طب هي هتبقى كويسة؟
- هتبقى كويسة جسدياً، لكن حضرتك لازم تكون متماسك لإنها هتكون محتاجالك جداً الفترة الجاية.. موضوع الرحم خصوصاً هيكون مؤذي نفسياً جداً ليها.. أنا بس واجب عليا أقولك إن الخلفة دي رزق من عند ربنا، و لو ربنا مش كاتب إن يكونلكوا أبناء مش هتقدر تغير كدة مهما عملت.. ، و تأكد إن ربنا معوضك بحاجة قصاد كدة.. إنت بس تماسك عشان مراتك محتاجالك

تركه متخبطاً و عاد لغرفة العمليات، بينما أحمد ربت على كتفه مهوناً و قال:

- إنت راجل مؤمن و متماسك يا باشا، و زي ما الدكتور قال الرزق بتاع ربنا.. ممكن كمان تكفل طفل أو تتبناه.. إبن خالي عمل كدة و بسم الله ما شاء الله معاه أنس 14 سنة.

قال رأفت بصوت تحشرج و تعثرت حروفه و خرج من جوف بئر مهجور:

- أنا مش زعلان على الخلفة، أنا زعلان و قلقان عليها هي، هي الحاجة اللي طلعت بيها مالدنيا، و عارف إن أول طلب هتطلبه مني أول ما تفوق من حزن العملية إني أطلقها..
- إنت بقى معاها حاول تبعد عنها كل الأفكار دي..

قال رأفت شارداً:

- ربنا يستر.

*****

أدار سايكو المزلاج لينفتح الباب مصدراً صريراً عالياً، هبط درجات السلم بعد أن أغلق الباب ليجدها جالسة على المقعد هادئة كما تركها.. ترتدي فستان أبيض نظيف عاري الكتفين.. تعقص شعرها في قطتين بأستك أحمر، نظيفة و مبتسمة على عكس المرة الأولى التي شاهدها فيها و على وجهها قطرات الدماء، إنها تلك الفتاة التي أنقذها هادي و إقتص لها أمام أعينها، مد يده في حقيبة ظهره و أخرج لها دمية باربي الشهيرة و وضعها على الطاولة التي أمامها، ثم أخرج سكين كبيرة تلك التي يستخدمها الجنود في الحرب و وضعها بجانب الدمية، إبتسمت له فقال:

- إختاري؟

ببطء مدت يدها و سحبت السكين لترتسم بسمة عريضة على وجه سايكو قائلاً:

- طب أنا عايز أعرفك على حد...

و نادي بصوت عالي جداً صم أذنها:

- سلييييم.

إنفتح الباب و هبط رجل أربعيني له هيبة، يتقدم بقدم و يسحب الأخرى مستنداً على عكاز فخم، توقف سليم بجانب سايكو فقال سايكو مشيراً له:

- أقدملك سليم، هيعلمك حاجات كتير ، لازم تسمعي كلامه في كل حاجة، ماشي؟

هزت رأسها موافقة فقال سليم:

- كان في إطباق قدامك فيها أكل؟

أجابت في هدوء و ثقة:

- كلتهم و غسلت الأطباق و رجعتها في مكانها..
- شاطرة يااااا..... هو إنتي إسمك إيه؟
- سندس...
- من دلوقتي يا ندس و لآخر يوم في عمرك إنتي إسمك مش سندس و متعرفيش هي مين.. لا عمرك كنتي هي ولا سمعتي عنها.
- و هيبقى إسمي إيه؟

نظر لأعلى مفكراً قبل أن يقول:

- ..... رافانا.

****

الفصل الثامن

في إحدى الغرف الحمراء ضحية مرت بالثلاث مراحل الأولى و مازالت حية، يقف شخص ضخم خضبت ملابسه بالدماء و هو يمسك المنشار و يقطع يد الضحية بينما هي تصرخ بطاقة إنعدمت، ظهرت على الشاشة رسالة من مستخدم vip تأمره بالتوقف ، ثوان و توقف الضخم قبل أن تظهر رسالة أخرى.. (إفتح الباب) ، أخذ الأمر منه ثوان ليستوعب هذا الطلب الغريب.. إتجه للباب و فتحه قبل ان يسقط أرضاً في مكانه، دخل رجل يرتدي بدلة و قناع أرنب ممسكاً بالمحقن الذي إخترق رقبة الضخم.. تحرك الأرنب في الغرفة ناظراً للضحية.. غرس المحقن في عنقها الدامي فبدأت تسترخي و تستكين قبل أن يذبحها رحمة بها.. فما حدث بها يؤكد أنها لن تنجو و إن حاول.. ثم رفع الضخم على الطاولة و أخذ يعبث بجسده بالأسلحة في متعة حقيقية قبل أن يحسم أمره و يرفع يده في الهواء بالسكين و يهوى بها على صدره ليسمع الطقطقات ثم يرى الفيض الأحمر قبل أن يتشمم الرائحة المميزة له..

دلف هادي للسيارة و نزع عنه وجه الأرنب ثم أوصل خط شبكة المحمول بالهاتف و أجرى إتصال بعلي ليسمعه يصيح قائلاً:

- إنت قتلت البت ليه؟
- كدة كدة كانت هتموت إنت مشوفتش هي عاملة إزاي ولا إيه؟
- و أنت مال أهلك يا عم ، أنت داخل لهدف واحد.
- و الهدف من كدة إيه؟ مش عشان ننقذ اللي ملهومش ذنب!

تعالى صوت علي في غضب:

- و إنت كدة أنقذتها!
- مكانتش هتستحمل و كانت هتموت بس بعد ما تتعذب بوجعها و حزنها على نفسها.
- متتصرفش من دماغك تاني يا عم بعد إذنك .
- خلصناااا يا عم علي، عايز إيه تاني؟

صمت علي محاولاً التماسك ثم قال بنبرة هادئة:

- أنا بعتلك الجديد.

و أغلق المكالمة، أخرج هادي الشريحة من الهاتف و أدار محرك السيارة منطلقاً بسرعة جنونية..

****

تجلس فودكا على الأريكة و على فخذيها اللاب توب الخاص بها، تحرك أصابعها بسرعة على الشاشة و عيناها متسعة ذاهلة ناظرة إلى الشاشة، إنتفضت حين سمعت جرس الباب فنهضت بهدوء و تحركت بخفة حتى وصلت للباب فنظرت من العين لتجد هادي يقف بالخارج مبتسماً، عادت خطوتان و وقفت تستوعب قبل أن تهرول إلى شاشة اللابتوب و تغلقها ثم تعود للباب و هي تعدل من وضع ملابسها و شعرها ثم رسمت إبتسامة على وجهها و فتحت الباب، تقدم هادي خطوة و هو مبتسم إبتسامة حانية، وضع يده على خصرها و إقترب منها محاولاً خطف قبلة لكنها أشاحت بوجهها و إبتعدت عنه قائلة:

- تشرب قهوة ولا بابونج؟

تغيرت ملامح هادي للإستنكار و إختفت إبتسامته قائلاً:

- في إيه يا فودكا؟

إلتفت له محافظة على إبتسامتها و قالت:

- في إيه يا هادي؟

إقترب منها ممسكاً برسغها و سحب يده بلطف حتى وصلت لكفها قائلاً:

- إنتي لسة زعلانة مني؟
- و هزعل ليه؟

إقترب منها خطوتان حتى تلاصق جسدهم و أحاط خصرها بذراعيه قائلاً:

- سيبيني و أنا هعرف أصالحك.

و طبع قبلة على جبينها تبعها باخرى على شفتيها قبل أن تتعلق في رقبته

****

وقف رأفت أمام باب غرفة النوم ممسكاً بالأطباق بعد أن صفعت زوجته البلب في وجه، يحاول التحكم بأعصابه و هو يعود ليحاول مجدداً:

- حبيبتي طب إفتحي عايز أتكلم معاكي، كل حاجة ليها حل يا ماما..

تصاعد صوت بكائها الذي كان يعتصر قلبه في السابق، لكن الآن يشعره بغضب شديد، يعلم أن كل ما هي تمر به من حقها لكنها لا تعطيه أي فرصة، لا تتعطيه وقتاً لأكثر من جملتين، ولا تنطق بحرف، قبل أن تقلب عليه الطاولة و تغلق الغرفة على نفسها و تنهار في البكاء، شهران و لم تتحدث سوى ثلاثة مرات بثلاث جمل قصيرة، لتبكي و تنهار، هل البكاء و النحيب يغير من شئ؟ لا تتركه حتى ليهون عليها، هو لم يستسلم و لم ييأس، لكن عليها للحظة التفكير في مشاعره هو أيضاً، الصمت و التحمل كثيراً قد يأتي عليه يوماً و ينفجر محدثاً صوتاً مدوياً يسمعه الأصم... طرق الباب مجدداً حين لاحظ إختفاء صوت نحيبها و تسرب القلق إلى قلبه، بدأ يطرق الباب بشكل أعنف و يتلقى صمتاً، إبتعد خطوة و دفع بجسده إلى الباب ثم عاد مجدداً و دفع بنفسه إلى الباب، يشعر بكتفه يتمزق مع كل دفعة لكنه لا يبالي، إنهارت كل مشاعره عدا القلق على حبيبته .. أعاد دفع الباب حتى صرخ كتفه ألماً و إنخلع الباب ليجدها ملقاه على سريرها، حاول إفاقتها فلم تستطيع، حملها إلى السيارة و منها إلى المستشفى، وقف أمام غرفة الكشف يجز أسنانه بعد أن إحتل الغضب عقله مجدداً و بقايا قلق تجعله يضرب الحائط بقبضته كل عدة دقائق حتى رأى الطبيب يخرج من الباب فهرول إليه قائلاً:

- خير يا دكتور؟
- المدام عندها هبوط حاد في الدورة الدموية و كانت ممكن تموت لو كنتوا إتأخرتوا شوية كمان.
- هي لسة عاملة عملية إستئصال رحم من شهرين كدة دة ممكن يأثر على حاجة؟
- ميأثرش لكن يفسر كتير.. معندكوش أولاد صح؟

طأطأ رأفت رأسه قائلاً:

- أيوة.
- أنا بس عايز أوضح لحضرتك إن الست بعد خبر زي دة بتدخل في إكتئاب حاد و بتكره نفسها و جوزها و بتفقد كل أشكال متع الحياة ، لا بتاكل ولا بتشرب فطبيعي تدخل في هبوط زي دة.
- و العمل؟

- هي هنا هتقعد معانا يومين لحد ما تفوق، لو أمكن تكلم والدتها تيجي تقعد معاها وهي هتكون عندها علم بالحالة و التصرف أكتر منك.

تنحنح رأفت قائلاً:

- والدتها متوفية.
- البقاء لله.. أنا أسف.
- و نعم بالله ... مفيش حاجة يا دكتور.
- طب يبقى والدة حضرتك.
- ماشي متشكر يا دكتور..

و هم أن يبتعد و يده على الهاتف ليوقفه الطبيب قائلاً:

- حاول تعدي أي حاجة هتحصل الفترة دي عشان هي مش في وعيها، حاول تستحمل أي فعل أو كلمة هتقولها، ربنا يطمنك عليها.

حياه رأفت مبتسماً و إبتعد ممسكاً بالهاتف و طلب رقم والدته قائلاً:

- ألو.. أيوة يا ماما.

****

ألقت نفسها في حضنه بعد معركة عنيفة، لف ذراعيه على ظهرها محتضناً إياها في حنان جعلها تتعجب كيف يكون ذلك الحنون هو نفس الشخص الذي كان يمزق أحشائها منذ دقائق! طبع قبلة على فروة رأسها تبعها بأخرى على وجنتها قبل أن يغمض عينيه مبتسماً..

عندما تأكدت فودكا من نوم هادي إنفلتت من بين ذراعيه بهدوء، تحركت في الغرفة بخفة، بحثت في ملابسه، نقود و مفاتيح و محفظة.. لا هاتف! بحثت في المحفظة لتجد عدة كروت بنكية ، لا بطاقة، لا رخصة قيادة..إرتدت ملابس خفيفة و هبطت درجات السلم لتخرج إلى سيارته، فتحتها و فتشت فيها.. البطاقة الشخصية و الرخص حملت صورته و إسمه بالكامل، إسمه مألوفاً عليها لا تعرف أين سمعته من قبل...أخرجت هاتفها و إلتقطت صورة لبطاقته ثم أعادتهم لمكانهم و بحثت في كل مكان عن أي شئ فلم تجد.. فتحت باب السيارة و خرجت مسرعة قبل أن يستيقظ و يلاحظ إختفائها، تقافزت على أطراف أصابعها على درجات السلم حتى وصلت و أغلقت الباب برفق، أعادت كل شئ لمكانه و إتجهت للمطبخ تعد مشروبين، نبت في رأسها مشروب إيلين المفضل.. نيسكافيه بقطع المارشميللو.. دلع إضافي كما تقول.. أعدت الكوبين و تمشت في شورت قطني بلون اللافندر ، وقفت و إستندت بكتفها إلى الباب قائلة:

- Hey Sleepy

تعلم أن نومه خفيف لأقصى درجة، و أنه بعد العلاقة لا ينام أكثر من نصف ساعة ، فحين قالت ذلك فتح هادي عينه ناظراً لها و إبتسم قائلاً:

- اللافندر دة هياكل منك حتة
- مهو مش فاضل حاجة تتاكل إنت كلت كل حاجة.
- و لسة مشبعتش منك يا فودكا...

ناولته كوبه و جلست بجانبه، نظر لما يحتويه الكوب قائلاً:

- مارشميللو! دة دلع إضافي دة.
- مهو لو مش أنا اللي هدلعك يا حبيبي مين اللي هيدلعك.

قال مبتسماً بإستنكار:

- هو في إيه النهاردة يا فودكا؟

أمسكت بيده و طبعت قبلة عليها قائلة:

- عايزة أقولك على حاجة مهمة.

إختفت إبتسامته و قال و هو يتمنى أن يخيب ظنه:

- خير يا فودكا؟

أخذت الكوب من بين يديه و وضعته على المنضدة الصغيرة ثم أراحت رأسها على فخذيه ناظرة لعينيه، تمشت بيدها على رقبته حتى وصلت لشعره و أصابع يدها الأخرى تلمس أصابعه قائلة بين إبتسامتها:

- أنا بحبك.

هبطت الكلمة عليه كنصل مقصلة، إمتقع وجهه و بهت و إنطفأت إبتسامته مما جعلها تعتدل في جلستها و على وجهها إرتسمت الخيبة و التساؤلات، قالت له بحاجب مرفوع:

- في إيه يا هادي!

تنحنح هادي مستجمعاً الكلام قبل أن يقول:

- مفيش يا فودكا، أنا بس.. إتخضيت.
- إتخضيت!
- متوقعتش... أصل تقريباً آخر مرة إتقابلنا إتكلمنا في حاجة شبه كدة و أظن إني كنت واضح.
- واااضح..

تفاجأت من ثباتها الإنفعالي و بعدها عن الحزن رغم شعورها بالخيبة و هي تقول:

- إنت إيه مشكلتك مش فاهمة؟

ظل صامتاً مطأطأ الرأس فقالت:

- لأ بعد إذنك كلمني زي ما بكلمك.
- متأكدة إنك عايزة تسمعي؟
- أيوة يا هادي متأكدة.. سمعني.
- بصي يا فودكا و مش عايزك تزعلي من أي حاجة أنا هقولها، أنا و إنتي مينفعش نكون مع بعض، إحنا الإتنين عندنا كمية أسرار منعرفش يوم ما تتكشف ردد فعلنا هيكون عامل إزاي..

قاطعته:

- دي حياتنا السابقة و مظنش هتأثر علينا و إحنا سوا و كمان..

قاطعها:

- فودكا أنا عندي أسرار كتير عارف إنك مش هتقدري تستوعبيها..

قالت ساخرة:

- أكيد مش هتطلع سفاح يعني..

إبتلع جملتها دون أن يظهر عليه رد فعل قائلاً:

- إنتي كمان عندك أسرار كتير، إحنا بنحب نكون سوا، بنتقابل على فترات بعيدة، مين عارف لو وشنا في وش بعض كل يوم إيه اللي ممكن يحصل، مين عارف لو أنا و إنتي في بيت واحد البيت هينهار علينا بسرعة قد إيه!
- طب ما نجرب و نشوف!
- طب ما إحنا مع بعض، تقدري تقولي إيه هيختلف لو قولتلك أنا بحبك؟
- حاجات كتير طبعاً،
- ولا أي حاجة، هنكتف بعض بمسئولية و سؤال و مكالمات و غيرة و بتعملي إيه و رجعتي إمتى و قولتلك متروحيش و بلوكات في الآخر.. إحنا دلوقتي مقصرين على نفسنا كل دة..و لو عالكلمة بس يا فودكا و عايزة تسمعيها مني فأنا بحبك.. هل الموضوع إختلف؟

ظلوا صامتين بعدها لدقيقتين بدأ فيهما الحزن و الأسى يتسرب إليها فقطعت الصمت قائلة:

- بس إنت أكتر واحد بيفهمني و بنهزر و نتناقش و باخد رأيك ، أنت مهم جداً بالنسبالي..
- عشان مش فرض عليا و لو معملتوش مش هتزعلي، لكن بمجرد إرتباطنا هيبقى واجب عليا كدة حتى لو إنتي مبتزعليش لو معملتوش.
- طب..

قاطعها بحسم:

- هسألك سؤال يا فودكا ، لو جاوبتيني عليه مستعد إننا نتجوز بكرة الصبح مش نرتبط بس.. إسمك الحقيقي إيه؟

بهتت فودكا كما لم تبهت من قبل، إمتقع وجهها و ثارت معدتها و صبغت بشرتها باللون الأصَفر فقال هادي:

- شوفتي بقى إننا في أحسن وضع ممكن نكون في سوا؟

****

إنتهت حلقة المسلسل الذي تتابعه والدة رأفت، فنظرت لزوجته قائلة:

- مش قولتلك هتعرف إن هو السبب في كل دة؟

لتجدها شاردة في عالم آخر و الدموع تقف على عينيها منتظرة التحرر، فأمسكت الأم بجهاز التحكم و أغلقت التلفاز و إستدارت لها قائلة:

- عندك إيمان إن في حاجة تحصل برة إرادة ربنا؟

- لأ طبعاً..
- طب عندك تفتكري ربنا بيظلم حد؟
- أستغفر الله العظيم لأ طبعاً يا ماما إيه اللي بتقوليه دة.
- و ربنا أراد إنه ميرزقكوش باطفال، نعترض على إرادته؟

طأطأت رأسها و لم تجد رد فأكملت الأم:

- أهوه اللي إنتي بتعمليه من يوم العملية دة إعتراض على أمر ربنا، حقك إنك تحزني و تزعلي، لكن بحدود و بوقت.. زعلك دة ممكن يخسرك حاجة أكبر من الخلفة يا بنتي.
- إيه ممكن يزعل أكتر من الخلفة؟
- صحتك اللي في نازل و كل يومين في المستشفى، عمرك اللي بيجري بيكي و إنتي مشيلة نفسك هم و سواد، دة إنتي المفروض في أحلى أيام حياتك.. ربنا لما يرزقك بإبتلاء هو مش عايز منك غير حاجة واحدة بس..
- إيه هي؟
- الصبر يا بنتي، الصبر و الدعاء و إتأكدي إن عوض ربنا جاي جاي.. و دي الحاجة اللي لما تحطيها في دماغك هتقدري تعدي أي حاجة بتحصلك مهما كانت صعبة.
- و نعم بالله.
- في حاجة تانية لازم تاخدي بالك منها يا بنتي.
- إيه هي؟
- جوزك، جوزك قلقان و مرعوب عليكي ، في نفس الوقت شايل و مستحمل كل حاجة بتعمليها و كل الكلام اللي قولتيه في عصبيتك و زعلك رغم إنك قولتي كلام كتير يجرح أي حد..
- أنا و الله ما أقصد أنا بس..

قاطعتها:

- أنا فاهمة يا حبيبتي، إحنا ستات زي بعض ، و عشان أنا ست و عدى عليا عمر مع المرحوم و مع ولادي بقولك إن الرجالة مبيفهموش اللي إحنا حاسينه رغم إنهم ممكن يقدروه، و رأفت لو مستحمل كل دة فهو مستحمل عشان بيحبك يا بنتي.. دة ميخليكيش تسوقي فيها حتى لو مش بقصدك، هو و بياخد باله من كل كلمة و بصة و فعل عشان ميضايقكيش، و حتى من وراكي بيعمل حساب لوجودك ، أنا مش بقولك كدة عشان هو إبني، أنا بقولك كدة عشان دة فعلاً الواقع.
- هو إشتكالك؟
- إبني عمره ما إشتكالي منك و عمره ما خرج سر من أسرار بيته حتى لأمه، لكن أنا أم و فاهمة، و إنتي برضه بنتي.
- طب تنصحيني أعمل إيه؟
- أول حاجة فوقي من اللي إنتي فيه دة، واحدة واحدة كدة لحد ما حياتك ترجع زي الأول، راقبي تأثير كلامك عليه، شوفي إيه اللي بيضايقه و متقوليهوش، لاحظي تصرفاته و إمتى بيكون رايق و إمتى باله مشغول ، و هو رايق قوليله اللي إنتي عايزاه ممكن تاخدي منه عينيه لو طلبتيهم، جوزك شغله بيحتاج مجهود ذهني جبار و دايماً ضاغط على أعصابه حتى و هو نايم في البيت، متبقيش وسيلة بتزود الضغط عليه.. و لو هو بيستحمل متدوسيش.. رأفت بيحبك ، و إنتي الوحيدة اللي عندك القدرة تخلي حياتكوا جنة.. أو جحيم.

إرتسمت بسمة على شفتيها من حديث والدته لتقول:

- أنا بس عايزة أسألك حاجة يا ماما.
- إسألي طبعاً يا حبيبتي.
- إنتي إزاي كدة؟

- كدة اللي هو إزاي يعني؟
- يعني أي أم مكانك هتكون بتخبط بالكلام ، و لو عرفت إن مرات إبنها مبتخلفش هتزقه على جوازة تانية.
- لا يا حبيبتي دول عقارب اللهم إحفظنا، إنتي بنت ناس و خارجة من بيت أبوكي عشان تكوني واحدة من العيلة و أنا عندي بنت و أي حاجة بتعمليها بقيسها عليها و أتخيلها لو مكانك
- بعد الشر على حبيبة و بنتها ي اماما.
- حبيبتي دة إختيار ربنا ليكوا و لحياتكوا و هو ألخبير العالم بإيه خير ليكوا ، "ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا" و بعدين الموضوع مش بإيدك دة قدر ربنا و إحنا ناس مؤمنين.. إزاي هحاسبك على حاجة ملكيش ذنب فيها؟
- ما هو ربنا محلل الجوازة التانية لو الزوجة الأولى عاقر...
- محلل، مش فارض.. و أنا أة كان نفسي أشيل عيال رأفت، بس أنا عمري ما هسمحله يعمل فيكي كدة، إنتي برضه بنتي.

إحتضنتها بقوة و شعرت بالراحة تغزوها فقالت:

- أنا متشكرة أوي يا ماما، متشكرة أوي.
- على إيه يا حبيبتي، إنتي تستاهلي كل خير.

نظرت لها بعين تمتلئ إمتنان لتقول الأم:

- هتخليني أكسل و معملش الأكل عشان جوزك ييجي يتخانق معايا، قومي يابت نعمل محشي عشان نروق عليه تلاقيه هييجي من شغله تعبان .
-

****

يجلس هادي في غرفته بالكافيه يراقب الأجواء، فودكا لم تظهر منذ آخر مرة، يعلم أن الأمر سيأخذ بعض الوقت كي تتقبله، لكنه لا يستطيع التخلي عن إحساس القلق عليها، و إحساس أنه خذلها، لكنه يعلم أنه محق.. لن تتقبله فودكا أو فتاة غيرها مهما كانت تعشقه، جانبه المظلم سيأتي يوماً و يظهر للنور، لن يتحمل نظرة الخذلان و عدم التصديق التي ستحتل وجه كل من وثق به، لذا يبعد الكل عنه.. نبتت في رأسه ذكرى من الهواء.. طفل صغير يرتدي تي شيرت أخضر يحمل حرف F باللون الأحمر نائماً في سريره ليستيقظ على نحيب طفل آخر ، يفتح عينه ليجد من بالسرير المجاور يبكي بكاء شديداً إعتصر قلبه.

فتح هادي عينه محاولاً طرد الذكرى من رأسه قبل أن يخرج للكافيه، كالعادة يتعامل كأنه عميل و يحرص كل من يعملون بالمكان على معاملته كعميل عندما يكون في الصالة، كان ذلك شرط في عقد التوظيف، تحرك هادي في الكافيه و جلس على طاولة فودكا، يراقب عن قرب الوجوه الجديدة ، متحابين و متخاصمين، أصدقاء و زملاء عمل، أشخاص تنهمك في الضحك و آخرون منهمكون في الكتابة، يفتقد فودكا رغم محاولة طرد تلك الفكرة من رأسه، أشار لخالد فإقترب ليقول له:

- إنت معاك رقم فودكا؟
- أيوة ثواني هطلعه لحضرتك.

تراجع هادي قائلاً:

- لأ لأ إنت عارف إني معيش تليفون.
- طب أكلمهالك؟
- لأ مفيش داعي، روح إنت دلوقتي. و شوية و خلي بيلي يعملي قهوة.
- حاضر.

و إنصرف خالد بينما جلس هادي بين قلقه الذي يزداد دون تحكم منه.

***

خرج الضابط عم هادي من المصعد و تقدم ليرن جرس الباب، دقيقتين و لم يفتح أحد، ضغط مرة أخرى على الجرس و باليد الأخرى يطرق الباب فلم يفتح أحد.. وضع يده في جيبه و أخرج مفتاح قديم .. وضعه بالمزلاج و أداره و هو يتلفت فإنفتح الباب، دلف و اغلق الباب من خلفه برفق و تمشى بهدوء ملاحظاً كل شئ.. توقف أمام كومة القمامة قبل أن يرتدي قفاز بلاستيكي و يجلس القرفصاء يبحث بين الكومة، ما إن رفع الحقيبة الأولى حتى هاجمته رائحة كريهة خانقة وضع يده على أنفه على أثرها، قلّب في الكومة متقززاً محاولاً فهم لماذا أهملت تلك الكومة حتى وصلت لهذا؟ قبل أن تنبت فكرة في رأسه جعلته ينهض مسرعاً، ربما أهملت تلك الكومة عن قصد لتغطي رائحتها على رائحة أخرى لا يريد هادي لأحد أن يكتشفها. بحث في المطبخ فلم يجد شيئاً، تقدم ليقف أمام غرفة القتل، حاول فتحها فوجدها موصدة جيداً، حاول البحث عن مفتاحها في كل مكان فلم يجده، أخرج من جيب بنطاله أداة من قطعتين أدخلهم في فتحة المزلاج و عبث بهم حتى سمع الطقطقة ، فتح الباب فإنفتح لتصتدم أنفه برائحة الفورمالين، ذهبت يده إلى زر الإضاءة الذي يعلم مكانه جيداً فأضيئت الغرفة و شاهد الكابوس، فغر فاه من هول ما شاهده و أخرج هاتفه مباشرة يصور ما تحتويه الغرفة، توقف قليلاً أمام الدولاب الذي يحوي الفستان و الشعر المستعار و وجه الأرنب و هو يتذكر بلاغات و شهادات عن مفقودين شوهدوا للمرة الأخيرة يغادرون برفقة فتاة حمراء الشعر ترتدي فستان أحمر عاري.. ربط الأحداث و هو مازال يستوعب هول الأمر و عيناه ذاهلتان، أنهى التسجيل و عبث في الهاتف لإرسال المقطع إلى أحد الضباط العاملين على القضية، ظهر الفيديو في مربع المحادثة و بجانبه جملة (لا يمكن إرساله) نظر لإشارة الشبكة فوجدها ضعيفة، هرول خارجاً من الغرفة حتى ظهرت عجلة التحميل بجانب المقطع تمتلئ ببطء.. كان ذلك قبل أن يتلقى ضربة بشئ معدني على رأسه أسقطته أرضاً.

****

الفصل التاسع

أدار رأفت المفتاح بداخل المزلاج لينفتح الباب، أشار لزوجته لتتقدمه إلى شقتهم قبل أن يدخل بعدها ممسكاً بأكياس تحمل طعام ساخن، وضع الأكياس على السفرة بينما إتجهت هي إلى المطبخ تحضر أطباق، رفع صوته لتسمعه و هي في المطبخ قائلاً:

- بس البنوتة اللي في الملجأ اللي في حدائق القبة كانت عسولة أوي.

رفعت صوتها و هي ترد:

- لأ، الولد اللي في دار الأمل اللي كان لابس قميص أزرق كان أهدى و ألطف.

أخرج ما في الأكياس لتحضر هي بالأطباق واضعة الطعام بها و هي تقول:

- لو هنكفل طفل فعلاً لازم يبقى ولد.

قال مازحاً:

- و متبقاش بنت ليه إن شاء الله؟
- البنت آخرها هتتعلم و تتجوز مثلا؟ لكن الولد هيكبر و يشتغل و يبقاله مستقبل و هكون شئ من السند لينا، هيفضل فاكرلنا اللي عملناه.
- و هو إحنا هنكفله عشان يفتكرلنا و تبقى جميل؟
- لأ مش قصدي يا حبيبي، إحنا بندور على اللي يكون زي الإبن ، و إحنا لما نكفل طفل و نعوضه عن أهله أظن إنه عالأقل لما يكبر و يتجوز وإحنا سننا يكبر إنه هيعدي علينا كل فترة يتطمن.
- أهم حاجة ننقي كويس الطفل اللي نكفله، لازم قلبك يرتاحله يا ماما و تحسي فعلاً إن قلبك راحله.

قضمت قطعة من الدجاج و هي تقول:

- الولد اللي في دار الأمل.

إبتسم رأفت قائلاً:

- يبقى نزوره كتير و نتعود عليه قبل ما نكفله.

قالت و هي تنهش الدجاجة بنهم:

- إن شاء الله، هيطلع رأيي صح برضه.

****

خرج هادي مسرعاً من غرفته في الكافيه دون أن يعبأ بمن سيشاهده يخرج من غرفة العاملين، إتجه لطاولة فودكا و أمسكها من ذراعها جاذباً إياها قبل أن يقول:

- إنتي كنتي فين الأيام اللي فاتت؟
- مالك يا هادي؟
- ردي عليا كنتي فين؟

ملامح الغضب إرتسمت على وجهها و هي تقول:

- و إنت مالك؟
- مالي إزاي يعني ما أنا....

إستوعب هادي الموقف و صمت ناظراً للأرض لتحرر فودكا يدها من يده و تنظر له بإنتصار قائلة:

- هو أنا خلفت بمعاد كنا متفقين عليه ولا حاجة؟

ظل هادي ناظراً للأرض و هو يستوعب ما فعله نادماً لتكمل هي:

- طب لما هو الموضوع فيه عصبية و شد و كنتي فين.. كان إيه لازمته التقل يا كاريزما.

جلس هادي شارداً لتكمل جلد:

- لأ بس وقعت إنت، شكل البت فودكا دي سرها باتع..

إبتسم رغماً عنه فضحكت قبل أن يقول:

- إنتي بس قلقتيني عليكي لما مظهرتيش و مفتحتيش الباب لما جيت و خطبت و كمان مبترديش علي..

إستوعب هادي ما كاد أن يقوله فبتر عبارته لتضحك هي ضحكة مدوية و تقول:

- مبترديش على التليفون... كلمتني عالتليفون يا هادي!.. أخيراً.. لو الغياب بيجيب معاك أنا كنت إختفيت من زمان.

إحمر وجهه خجلاً قبل أن يقول:

- خلاص يا فودكا..
- لأ خلاص إيه دة الليلة عيد.
- خلاص يا ولية بقى.
- و الله لا، أنا مبسوطة يا جدع.. معقول قلقت عليا يا هادي؟
- ...
- ولا وحشتك؟

نظر لها هادي مبتسماً لتقول:

- إعترف يا وغد، وحشتك صح؟
- وحشتيني يا فودكا.
- اللهم صلي عالنبي... أقسم بالله أقوم أبوسك بوسة تجيب أجلك إنت حر.
- يا بت بقى ما تهدي.. قوليلي.. كنتي مختفية فين الأيام اللي فاتت؟
- كنت مكتئبة و برفس مالعياط في البيت.
- لأ بجد.. كنتي فين؟
- مش مهم دلوقتي..
- ماشي.

و نهض هادي ليجلس في المقعد المجاور لها، تناول كفها في كفه لتتشبك الأصابع و تضغط هي على يده محتضنة كفه بقوة، ثم أراحت رأسها على كتفه بعد أن ناولته إحدى سماعتي الأذن لتشاركه ما تسمع، ظلوا هكذا لثلثي الساعة حتى قال هادي:

- هو إنتي مبتسمعيش غير ميتال.
- بسمع.. روك!

إعتدل ليستقيم جسدها على الكرسي فيقول:

- ليه كدة يا بنتي، مبتسمعيش تامر أو أنغام؟
- مبحبش اللون دة
- طب أندرجراوند؟
- مليش فيه
- أم كلثوم و فيروز؟
- مليش خلق...
- راب حتى أو مهرجانات..
- لأ برجع..
- يخربيت تشبيهاتك .. إشمعنى يعني؟
- أنا أصلاً مليش في الحاجة اللي الناس كلها بتعملها.
- زي إيه يعني؟
- يعني.. موضات الأغاني، الترينديات عموماً، بابجي، الدارك ويب، التيك توك..

قاطعها:

- الدارك ويب؟
- أة ، لو متعرفوش تبقى من علية القوم..
- لأ أعرفه.. أأأأأ، واحد صاحبي حكالي عنه، ماله بقى؟
- ماله إيه يا بني؟ طب هقولك، عارف النت العادي اللي بندخل بيه على الفايسبوك و الـ..

قاطعها:

- إيوة أنا عارف إنتي هتقولي إيه.. إنتي عرفتيه منين؟
- أنا كنت بدخل عليه أصلاً.
- نعم؟؟ إزاي؟
- بص ، في برنامج كدة إسمه تور اللي هو شبه البصلة، نزلته و دخلت من عليه، هو بيكون عليه مواقع بحث زي جوجل كدة ، بس هي مش زي جوكل خالص، كنت من وقت للتاني بدخل و أتفرج، بيبيعوا عليه سلاح و مخدرات و أعضاء و حتى البشر..
- بتدخلي عليه عادي كدة؟
- أيوة عادي!
- و الهاكرز؟
- مالهم؟
- مبيخترقوش جهازك و إيميلاتك و حسابك في البنك و صورك و كل دة؟

ضحكت بإستهتار لما يقول ثم قالت بفخر:

- و الأنتي فيرس راح فين؟
- الأنتي فيرس! الأنتي فيرس هيقف قدام الهاكرز؟
- لأ ما هو أنا مش محملة أي أنتي فيرس، أنا محملة Avira اللي هو بشمسية حمرا دة، دة برنامج جامد مفيش حاجة بتعدي منه.

إرتسمت على شبتيه إبتسامة سخرية و إستهزاء لتفول فودكا:

- إنت بقى بتدخل الدارك ويب إزاي؟

إرتبك هادي قائلا:

- أنا؟... أأأ لأ أنا مبدخلوش ، إيه اللي خلاكي تقولي كدة؟

نظرت له بشك قائلة:

- أصل أنا قولت حاجات كتير أوي مبحبهاش أو بطلت أعملها و إنت من بينهم كلهم سألت عن الدارك ويب، و كمان عمال تقاوحني كإنك فاهم كويس، فإحكيلي..
- لأ يا بنتي أنا كان عندي واحد صاحبي بيحكيلي عنه كتير فأنا كنت مستغرب..
- قالك إيه صاحبك دة؟
- مش مهم بقى مش هتفرق... المهم بمناسبة إنك وحشتيني و إني شوفتك النهاردة أنا عايز أقولك على سر محدش يعرفه غيرك، و مينفعش حد يعرفه

تحفزت ملامحها و إتسعت عيناها إستعداداً فقال هادي:

- الكافيه دة بتاعي..

صمتت للحظة تستوعب قبل أن تضحك قائلة:

- أيوة.. معلومة قديمة أصلاً.
- إنتي مش مصدقاني صح؟
- لاااا مصدقاك طبعاً..

ضحك هادي متراجعاً فيما حاول أن يشاركه معها فقال:

- يعني مدخلتش عليكي خالص؟
- ولا عدت من قدامي حتى..
- مقفوش أنا أوي كدة؟
- مقفوش فشخ...

و ضحك الإثنان بصوت عالي قبل أن تتذكر فودكا شيئاً و تعبث في حقيبتها قبل أن تخرج الكارت البنكي و تناوله لهادي قائلة:

- تسلملي يا أبو الصحاب، يدوم الواجب يا أبو نسمة

ضحك هادي قائلاً:

- خدتي اللي إنتي عايزاه؟

- أة زي ما قولتلك، خدت 3000.
- ماشي يا ستي.
- و حطيتلك سبعتلاف.

نظر لها هادي بغضب قائلاً:

- ليييه كدة يا فودكا؟؟؟؟
- يا عم أنا بقالي كام مرة أخد منك فلوس ، و أصلاً سبعتلاف دة جزء بسيط من اللي واخداه، لما ربنا كرمني قولت أرجعلك جزء و بعد كدة يحلها الحلال.

صاح هادي بغضب قائلاً:

- و هو أنا قولتلك إني عايزهم تاني؟

صاحت هي الأخرى في وجهه قائلة:

- يعني إيه يعني إنت هتبقشش عليا؟ فلوس و خدتها منك و برجعهالك، فين أم المشكلة مع سعادتك؟

صمت هادي قليلاً محاولاً تمالك أعصابه قبل أن يقول:

- بصي يا فودكا، أي فلوس هتاخديها مني بعد كدة مترجعيها....

قاطعته قائلة:

- مفيش حاجة إسمها كدة...

قاطعها:

- طب أي فلوس تاخديها مني لو حبيتي ترجعيها رجعيها كاش يا فودكا متحطيهاش في الفيزا.

نهضت في عصبية و هي تلملم حاجياتها قائلة:

- لأ و ليه.. أنا أصلاً مش هطلب منك فلوس تاني...

و غادرت الكافيه بينما هو لم يلحق بها، عاد إلى غرفة المراقبة و أمسك بالهاتف ليطلب رقم علي قائلاً:

- أيوة يا علي في مشكلة..
- خير؟
- الفيزا اللي بنجيبها من الدارك ويب..
- مالها؟
- لو حد حط عليها فلوس إيه اللي بيحصل؟
- بيحصل مصيبة طبعا و ممكن نتجاب كلنا..
- و الحل؟
- و إنت إيه اللي خلاك تحط فلوس فيها ما أنا جايبلك كذا واحدة فيهم مبلغ محترم؟
- مش مهم دلوقتي المهم هتعرف تتصرف؟
- يعني أة.. أنهي فيذا فيهم؟

- اللي هي لونها نبيتي دي.

صمت علي قليلاً قبل أن يجيب:

- ماشي سهلة، هحلها.

و أغلق المكالمة ليعود هادي للصالة و يجلس على طاولة فودكا، إيلين تجلس في الطاولة المقابلة له و كل بضعة دقائق تنظر له و على وجهها أعتى علامات التوتر و التردد، و هادي شارداً في عالم فودكا التي إستطاعت جعله يسقط في القلق على شخص، للمرة الأولى في حياته

****

خرج رأفت من مسرح الجريمة يرتب الأوراق في عقله، بعد إنتحار السفاح في السجن تبدو كل القضايا سهلة لكن تحتاج القليل من التركيز، يجب عليه ألا يدع القضايا الصغيرة تبعده عن منزله طويلاً، خصوصاً أن زوجته بدأت تتعافى و تحتاجه بجانبها، أوقف سيارته بجانب أحد محلات الورود و إختار باقة جميلة من الورد الأحمر، ثم تمشى إلى متجر كبير و إختار قالب الشيكولاتة المفضل لها و عاد للسيارة، إنطلق في طريقه للمنزل قبل أن يسمع رنين هاتفه، كانت مكالمة من الملازم أحمد الذي سانده في قضية السفاح كما سانده في المستشفى مع زوجته و ما بعدها ، أجاب رأفت المكالمة قائلاً:

- أبو حميد...
- رأفت باشا.
- إيه الأخبار يا باشا؟
- و الله كله بخير يا فندم.
- ما بلاش يا فندم الألقاب دي، ولا دي مكالمة شغل؟
- الحقيقة لأ يا باشا، أنا بكلمك أعزمك على فرحي يوم الخميس الجاي.

تهللت أسارير رأفت و قال بفرحة حقيقية:

- ألف مبروووك يا عم أحمد ، أيوة كدة يا جدع قولنا خبر يفرح .
- الله يبارك فيك يا باشا، طبعاً حضرتك تشرفني و تنورني إنت و المدام،
- يابني أنا مش محتاج عزومة أنا صاحب فرح أصلاً.
- طبعاً يا باشا دة شرف كبير ليا و الله.

لمح رأفت متجر (Beauty) فضرب المكابح لتقف سيارته مصدرة صريراً عاليا قبل أن يعود عدة أمتار ليتوقف أمام المتجر، قال و هو يترجل من السيارة:

- خلاص يا باشا هبقى أكلمك تقولي التفاصيل.

أغلق رأفت المكالمة و دلف إلى المتجر مبتسماً لتلك الفتاة الرقيقة التي تعمل بالداخل، سألها عن منتجات مساحيق التجميل فإبتسمت مرحبة به و تقدمه تعرض عليه الكثير من المنتجات التي لا يعلم عنها شيئاً

****

أدار هادي المفتاح في المزلاج و دلف لشقته ليجد سايكو يقف و أمامه كرسي مقيد عليه الضابط ة فمه مكمم بقطعة قماش، مستيقظاً منتبهاً هادئاَ رغم الدم الذي نشع من مؤخرة رأسه و صبغ قميصه باللون الأحمر، لم يستوعب هادي ما يحدث قال سايكو:

- ما بدري يا بيه الأكل برد.

نظر هادي للموقف بذهول قائلاً:

- إيه يابن المجنونة اللي بتعمله دة.. إنت عارف دة مين؟
- لو أنا مش عارف مكنتش ربطته كدة.
- طب و بعدين يا سايكو؟

ملامح الجدية ترتسم على وجه سايكو قائلاً:

- مكانش في وسيلة أقدر أضغط عليك بيها إلا دي.

إتسعت عيني هادي غير مصدقاً ليكمل سايكو:

- سامحني يا صاحبي، الغدر بالغدار ميبقاش غدر.

لم يفهم هادي و هو مازال غير مستوعب ما يحدث فقال:

- طب فهمني..
- و الله يا هادي أنا في مهمة و الموضوع مش شخصي خالص و إنت عارف.. فرصتي و جاتلي عشان أقولك قد إيه أنا بكرهك يلا إنت.
- القلوب عند بعضها يا عم بس الراجل دة ماله؟
- ما أنا لقيت إنه الشخص الوحيد اللي من ريحة المرحوم و غالي عندك و كدة فقولت أحرق قلبك عليه الأول قبل ما أحاسبك.

القلق إحتل جسد هادي و الخوف بدأ يتسرب إليه، هو يعرف جيداً من سايكو و ماذا يقدر أن يفعل، لكن لماذا؟ ماذا يحدث؟.. فتح فمه و كاد أن ينطق قبل أن ينهار سايكو في الضحك .. زاد ذهول هادي و سأل بعدم فهم:

- في إيه يا سايكو؟

أشار سايكو له أن ينتظر لينهي ضحكه قبل أن يسعل و يقول:

- كان لازم تشوف شكلك و إنت قلقان و متوتر... مسخرة .

ضحك هادي ضحكة عالية قائلاً:

- يعني مفيش حاجة من الحاجات دي؟
- لا يا عم مفيش، و هو أنا من إمتى بتاع تهديد و لوي دراع و حرقة قلب؟
- مهو دة بالظبط اللي خلاني مش فاهم و مش بالع اللي بيحصل.. طب إيه بقى مين عمل إيه؟ و عمي إيه اللي جابه هنا؟
- بس متقولش عمك عشان مشتمكش شتيمة توقعك من نظره...

أمسك سايكو الضابط من ذقنه بعنف و هو يقول:

- الراجل القمر دة دخل شقتك من وراك و قعد يدور لحد ما لقى الأوضة بتاعتك ..

و لوح بالهاتف قائلاً:

- و صور كل حاجة فيديو و كان على وشك يبعتها لظابط تاني، عشان لما أقولك إنك ماشي بتسيب ورق عليك في كل حتة، كان ممكن الورقة دي تجيب أجل أهلك يا مهمل.

ثم نظر لهادي بنظرة طفولية إم تلوم إبنها قائلاً:

- أنا علمتك كدة؟ إنت ولد كلبة وحشة نوتي و أنا مش هديك من المصاصة بتاعتي.

و أخرج من جيب بنطاله مصاصة فضها من الغلاف و وضعها في فمه بإستمتاع بينما ظل هادي ساكناً لثوان يستوعب ما يقوله سايكو قبل أن يقول:

- يعني دة اللي حصل؟ بس كدة؟ طب مش إنت إتصرفت؟
- أة يا عم.. هفضل أتصرفلك كدة لحد إمتى؟
- طب و هو عايش ليه؟
- قولت تشوفه لتيجي تلاقيه ميت تزعل مني...
- أزعل إيه يا عم كلب و راح.. تخلص إنت ولا أخلص أنا؟
- ما إنت عارف.. لو خلصت أنا هفضحكوا في قلب المكان..
- أة دة إنت صح.. طب إستنى بقى..

و دلف هادي للغرفة أحضر سكين كبيرة و حرك النصل الحاد على رقبة الضابط بنعومة و رفق و الضابط ينظر له بثبات تام قبل أن تقفز في رأس هادي فكرة قائلاً:

- لأ أنا عندي فكرة أحلى بكتير..
- إبهرني.
- إنت رابطه كويس؟
- لو سألت سؤال غبي زيك كدة تاني أنا هربطك و أسيبه..
- طب يبقى أنا عايزه كام يوم معايا هنا قبل ما نخلص..
- إنت متأكد؟
- أيوة متأكد، إيدك معايا ندخله جوة.

حملوا المقعد بالضابط سوياً حتى غرفة القتل ليمسك هادي بمحقن و يسحب سنتيمترات السائل الأزرق من الأمبول مقترباً منه قائلاً:

- في العادة أنا مبستخدمش الـ M99 إلا مع الناس اللي بحتاج أخدرها عشان أقتلها، لكن دة هيخفف عليك أحداث كتير و هيخلي الوقت يعدي بسرعة لحد ما تجهز للي أنا هحتاجك فيه.

و نظر لسايكو مشيراً له بالخروج من الغرفة ليتبعه هادي و يغلق الباب جيداً ، تقدم هادي سايكو إلى الأريكة و قال له:

- أنا بس هموت و أعرف إنت بتعرف كل دة إمتى و إزاي؟ و إزاي بتلحق تتصرف بالسرعة دي؟
- دي حاجة هتعرفها في رواية الحساب...
- رواية إيه؟
- رواية هتنزل عني كمان كام سنة كدة.
- رواية؟ عنك إنت؟!
- أة .. بس مش عني عني.. هي بتحكي قصتي بشكل روائي شوية و فيها تفاصيل حلوة...
- إنت من إمتى بتكتب روايات؟

- لأ مش أنا اللي بكتب، دة كاتب شاب كدة عرفته صدفة فحكيتله الفكرة و هو إنبهر بيها و قال إنه هيكتبها بعد ما يقعد معايا و أحكيله التفاصيل.
- و بعدين؟
- بقيت أقعد معاه و أحكيله و هو يكتب..
- أنا عارف إن عندك ربع ضارب و مبيهمكش ، بس إنت بتحكي لواحد متعرفوش قصة حياتك و إزاي بتعمل و تنفذ ! مخوفتش يبلغ عنك... أو يقلدك؟
- مهو مش هيعرف..
- ماسك عليه حاجة؟
- ماسكه هو ذات نفسه، البيه محبوس في الهنجر بتاعي بقاله شهرين و إتناشر يوم.
- اااااة، و أنا برضه بقول إنت ميطلعش منك حاجة عادية أبداً.
- بس يا سيدي، إستنى بقى لما الرواية تنزل عشان تعرف إجابة سؤالك..
- ماشي يا عم، هتبقى رواية تستحق أستناها الوقت دة كله.
- هبهرك، بس أنا همشي دلوقتي.
- إتكل على الله مشوفش وش أمك هنا تاني.
- المرة الجاية هاجي على بيات.
- تنور يا حبيب أخوك.

غادر سايكو بينما دخل عادي غرفة القتل ، حرك الكرسي ليكون مقابل لكرسي الضابط الغائب عن الوعي، جلس هادي على الكرسي واضعاً قدم فوق الأخرى و شرد في ذاكرته...

****

أغلق رأفت الباب برفق و تسحب على أطراف أصابعه حتى وجدها تجلس على الفراش شاردة، بهدوء إقترب منها و نظر للورقة التي في يدها مبتسماً دون أن تلاحظ، وجدها تنظر لصور الأطفال التي حصلوا عليها من دار الأيتام.. و ملامح زوجته تنظر لهم بحب و حرمان.. إرتسمت على وجهه نظرة حانية و قبّل رأسها لتنتفض بين يديه فإحتضنها معتذراً لتقول:

- خضيتني يا رأفت، مش تكح أو تعمل حاجة؟
- معلش يا حبيبتي لقيتك مركزة قولت مقاطعكيش، بتعملي إيه؟
- بتفرج على صورهم، كتاكيت خالص.
- الأطفال أحباب الله.

إعتدلت في جلستها و قالت:

- مش إنت قولتلي قبل كدة إننا ممكن نتبنى طفل؟
- أيوة يا حبيبتي بس إحنا دلوتي بنفكر نكفل طفل منهم..

أمسكت بيده في إستجداء قائلة:

- طب ما نتبناه!

تغيرت ملامح رأفت فجأة لتقول هي له بإستعطاف:

- عشان خاطري يا رأفت.

و عبثت في الصور تبحث عن صورة الطفل، و حين وجدتها رفعتها أمام بصره قائلة:

- أهوه، كنا هنكفله، مفيهاش حاجة لو إتبنيناه و عاش معانا.

ظفر رأفت في ضيق قبل أن يقول:

- طيب خلينا نقرر بعد ما نرجع من فرح أحمد.
- أحمد هيتجوز! طب حلو دة إمتى؟
- الخميس اللي جاي.
- ماشي بس أنا هحتاج أجيب فستان و ميك أب عشان معنديش.

إلتقف يدها و سحبها للخارج ، نظرت للسفرة لتجد عليها باقة الورود و قالب الشيكولاتة و الكثير من مساحيق التجميل، نبتت دمعة على عينيها و قفزت في حضنه قائلة:

- أنا بحبك أوي يا رأفت.

إبتسم بجانب شفتيه و هو يربت على ظهرها قائلاً:

- ربنا يخليكي ليا يا أم.... هو الواد دة إسمه إيه؟

إبتعدت قليلاً ناظرة لعينيه بأعين إتسعت حدقتيها قائلة:

- إسمه هادي!

جذب يدها إلى حضنه مجدداً قبل أن يقول:

- ربنا يخليكي ليا يا أم هادي.

****

الفصل العاشر

أثناء نومه شعر الطفل بشخص ما بجانبه على الفراش، قبل أن يشعر بتلك اليد الغليظة التي أخذت تعبث في جسده من أسفل الملابس، شعر بالخوف يجتاحه و التقزز لما تفعله تلك اليد به، حاول ألا بلاحظ من بجانبه أنه إستيقظ لكن الدموع التي أنهمرت من عينيه المغلقتان فضحتاه، إبتسم الشخص بسمة ظفر و قال بصوت هامس:

- أنا عارف إنك صاحي و حاسس إحساس حلو.

فتح الطفل عينه ليواجه أعين غليظة كريهة عليها غضب الله، و وجه مفلطح ذات شارب غليظ بث الرعب في وجهه، نهض الرجل و جذب الطفل من يده فإنصاع جسده رغماً عنه، سحبه الغليظ أسفل الدرج و فتح باب ذو لافتة كُتب عليها (غرفة الخزين) و لافتة أسفلها كُتب عليها (للعاملين فقط)، دخل الغليظ ساحباً الطفل الذي إنهمرت دموعه كسيول يناير على وجهه الرقيق قبل أن يوصد الغليظ الباب، جلس على مقعد في ركن مظلم و سحب الطفل ليجلسه على فخذه...

عشر دقائق و إنفتح الباب لخرج الطفل ركضاً حافي القدمين ليقفذ في فراشه و يبكي بحرقة كتمت صوتها وسادة دس وجهه فيها و الألم يعتصر جسده و روحه و كرامته.

(***

فتح الضابط عينه بصعوبة و رأسه مازال يدور من أثر المخدر ليجد هادي جالساً أمامه ناظراً في عينيه نظرة تخترقه، لكنه برغم الدوار و تأثير المخدر لم يبدو إلا ثابتاً صلباً، قال هادي بصوت خفيض:

- أنا عارف يا عمي إنك بتعمل شغلك، و إن أي حاجة هتقولها أو كنت هتعملها هي حقك و حق أي حد يكتشف السر دة، بس الموضوع غصب عني و حاولت كتير أبطله و مقدرتش، إنت مسبتنيش يوم، دة إنت حتى جيت مع أبويا و أمي و هما جايين ياخدوني من الملجأ رغم إنك كان بقالك إسبوع واحد عريس، لكن إنت أكيد عارف إن أي حاجة هعملها فيك هتكون عشان أحمي نفسي.. دة عمري.. إنت دلوقتي بتهدد عمري نفسه، بس قبل ما أخد أي فعل معاك عايز أوريك حاجة...

نهض هادي و أمسك صندوق خشبي صغير و فتحه ليظهر العديد من أمبولات الحقن القابلة لإعادة التعبئة، بداخلها سائل أحمر أقرب للدم البشري، أمسك بالأنبول الأول و رفعه أمام عين الضابط أحمد قائلاً:

- السيد طلبة، كان بيستدرج البنات الصغيرة للسطح و يعتدي عليهم.

و ضعه في مكانه و رفع غيره قائلاً:

- أشرف الحكيمي، كان بيستدرج الأطفال في أول سن البلوغ و يخليهم يـــــــ أنت أكيد فاهم.

وضع الأمبول مكانه و أخرج أخر:

- فيلوباتير جرجس، كان بيشقط بنات ليل و يضربهم و يعذبهم و في الأخر يغتصبهم بعنف لحد ما يموتوا تحت منه

وضع الأمبول في الصندوق و أخرج أنبول آخر:

- إبراهيم السماك، اللي قتل 41 راجل و دوخكوا كلكوا سنين، في الآخر لبسها لواحد غلبان مستحملش لحد ما يسمع الحكم و إنتحر... أيوة أنا اللي بعدها بسنين دورت عليه و وصلتله و كشفته.. السماك ما إنتحرش في بيته، أنا اللي قتلته.

أعاد الأمبول للصندوق و تركه جانبا ثم عاد للمقعد قائلاً:

- كل واحد من دول عمل حاجة تخليه يستاهل يتقتل، أنا وفرتها على أهالي الناس اللي لو حد فيهم عرف كل واحد من دول عمل إيه في بنته ولا إبنه ولا أخته، و وفرت عالحكومة تحريات و محكمة و بطلان إجراءات و تزوير أوراق و غيره.. و وظفت الغريزة اللي عندي، أنا عمري ما قتلت شخص برئ يا عمي، لكن إنا لو سيبتك هتخرج و ترجع بقوة تاخدني، دة لو مقتلتنيش في وقتها، و أنا مش ساذج عشان أكون بحكيلك عشان أحاول أقنعك إني مش مجرم ، دة غير إنك ظابط و مهما قولتلك مش هتقتنع، أنا عارف إن نهايتي هتكون مقتول أو على حبل المشنقة، و لحد النهاردة الصبح كان ممكن أول ما لقيتك عرفت أخدك من إيدك و نروح نكتب نهايتي سوا، لكن في بنت قابلتني النهاردة و واقعة في مشكلة كبيرة.. مشكلة محدش هيقدر يحلهالها غيري، و لأول مرة في حياتي أحس بمسئولية ناحية حد، يمكن عشان هي رقيقة و بريئة جداً و المشكلة مش بتاعتها خالص و مش لاقية عليها حتى.. و مش هينفع أسيبك هنا و أنزل..

نهض هادي و مد يده على السكين الكبير بتردد قبل أن يسحبها قائلاً:

- عم أحمد، أنا عمري ما شوفت منك حاجة وحشة، أرجوك متسامحنيش.

و سحب النصل على عنقه بسرعة خاطفة ليتدفق الدم على رقبته ببطء.

لأول مرة يشعر هادي بأنه سحب النصل من على رقبته هو، لم يستطيع أن ينظر له و الدم ينسال، لو يطيق رائحة الدماء للمرة الأولى، تلك الرائحة التي عشقها طوال حياته أصبحت الآن كريهة مقززة لم يتحملها فخرج مسرعاً إلى الحمام أفرغ ما بمعدته و سقط على ركبتيه باكياً عائلته التي إنتزعته من دار الأيتام و أكرموه، هو الآن وحيداً تماماً ، أما سايكو فأمر آخر

****

إيلين تجلس في توباكو و على وجهها أعتى علامات الذعر و التوتر، تقدم خالد إليها يسألها عن طلبها فإنتفضت صارخة ليلتفت إليها كل من بالكافيه ، إعتذر خالد للجالسين و جلس محاولاً أن يهدئ من روعها:

- بغض النظر عن إيه مشكلتك ، مفيش حاجة و ملهاش حل... إنتي بس إهدي و لو عايزة تحكيلي إحكيلي ، ممكن ييجي في دماغي حاجة تساعد.

جسدها ينتفض نظارة له قبل أن تقول بصوت مرتعش:

- فين أستاذ هادي، مجاش ليه لحد دلوقتي.

تنحنح خالد قبل أن يقول:

- أستاذ هادي ملوش مواعيد، زيه زي أي عميل هنا بييجي وقت ما يحب.

نظرت له و قالت بنفس متهدج مرتعش:

- بس هو قالي إن الكافيه دة بتاعه و إني هكون في أمان هنا.
- هو قالك!

ثم تدارك ما قاله فصمت واضعاً يجه على رأسه قبل أن يقول:

- دي معلومة جديدة عليا يا أنسة كل اللي شغالين هنا ميعرفوش مين صاحب الكافيه و مقابلوهوش خالص.

- هو قالي إنك هتقولي كدة، أرجوك انا عايزة أختفي عن العيون، لو ينفع تدخلني أوضة الإستف لحد ما ييجي...
- مقدرش أعمل حاجة زي كدة يا أستاذة دة مش من صلاحياتي..
- أنا بقولك هادي قالي لو إحتاجت أي حاجة أطلبها منك إنت ، مش إنت خالد.

قالتها و هي تشير بيد مرتعشة إلى المشبك البلاستيكي الذي يحمل إسم خالد بالحروف الإنجليزية ليرد قائلاً:

- أيوة بس..

قاطعته:

- بأمارة مرتبك العشر تلاف جنيه بالرغم من إنهم في العقد ستة بس.

نهض خالد بحركة مسرحية و جذبها من ذراعها برفق، إتجهوا إلى غرفة العاملين فأدخلها و أغلق الباب من خلفها بالمفتاح قبل أن يلاحظها أحد، جلست على المقعد العريض بين دواليب العاملين و معدات النظافة، ترتعض و ينتفض جسدها بقوة قبل أن تنسال الدموع من بين عينيها ، وضعت يدها على فمها تبكي خوفاً و قلقاً منتظرة هادي الذي وعدها بأن يخلصها من تلك المشكلة.

****

الأطفال يلعبون في فناء الدار نهاراً و الشمس من فوقهم تعكس ظلالهم على الأرض، ما عدا طفل واحد جلس أسفل شجرة مستظلاً بها شارداً متقززاً متألماً مما يحدث له كل بضعة أيام، إقترب منه طفل آخر ، طفل ينام في الفراش المجاور له ليلاً و يعتبره صديقه الوحيد، هم الإثنان يميلان للصمت و الهدوء، يجلسان سوياً بالساعات صماتين ناظرين للخواء، إقترب منه و جلس بجانبه قائلاً:

- إنت لسة عيان؟

نظر له الأخر نظرة تحمل تساؤل دون أن ينطق بحرف ليكمل الأول:

- أنا سمعتك إمبارح و إنت بتعيط في السرير، فأنا قولت إنك أكيد عيان.. إنت عيان صح؟
- أيوة
- عيان بإيه؟
- بطني وجعاني...
- طب تحب أقول لميس صفاء؟
- لأ، أنا بقيت أحسن.
- باين إنك لسة تعبان.. طب أقول لعمو سامح؟

صرخ الأخر قائلاً:

- لاااااااااااااااا

إبتعد عنه صديقه بلا فهم قبل أن يقول:

- بس عمو سامح طيب و بيلعب معانا و بيجيبلنا حاجات حلوة كتير، كل إخواتنا هنا بتحبه، إنت خايف تاخد حقنة.

وضع الأخر يده على أذنيه محاول كتم الكلمات قبل أن ينهض و يركض إلى فراشه.

****

إستيقظ هادي على أرض الحمام ليجد نفسه مستنداً بظهره على الحائط ، يبدو أنه فقد وعيه مجدداً، يكره هجوم الذكريات الذي يجتاحه من وقت بآخر، نهض بنصف مجهود و تمشى في الطرقة إلى غرفة النوم لتقع عينه على ساعة الحائط، إتسعت عيناه و ركض للغرفة ممسكاً بهاتفه ، ضغط عدة أزرار و وضع الهاتف على أذنه ليسمع صوت على قائلا:

- إيه يا هادي؟
- على ركز معايا عشان مفيش وقت، في بنت دخلت على الدارك ويب و هي مش مأمنة نفسها، دخلت مواقع غلط و شافت حاجات بتحتاج بيتكوين و كدة، و لما مدفعتش جالها رسالة إن في حد جاي عشانها النهاردة، بقالها إسبوع بتهدد و بيجيلها رسايل عد تانزلي، الحد دة جاي يقتلها يا علي.. سرق كل إيميلاتها و قفل كل الأجهزة بتاعتها و حتى لما جابت تليفون و رقم جديد عرف يوصلها...

ظل علي صامتاً لدقيقتين حتى قال هادي:

- إيه يا علي ما ترد عليا....

ظل علي صامتاً لعدة لحظات قبل أن يقول:

- مين البت دي يا هادي و عرفت إنك ليك في الدارك ويب إزاي؟
- إحنا في إيه ولا في إيه يا عم بقولك البت ممكن تتقتل في أي لحظة

لم يجيب علي لمدة دقيقة فصاح هادي:

- في إيه يا عم زفت ما ترد على أمي.
- عايزني أعملك إيه يا هادي..

صرخ هادي بنفاذ صبر:

- عايزك تساعدني....
- أساعدك إزاي؟ و لنفتر إني بقوة اللي يقدر يعمل كل دة و قدر يوصل لرقم و تليفون لية جايين جداد، هعرف أوصلهم أزاي من غير ما أعرف حتى هي دخلت على إيه؟ تفتكر هدخل أرمي سؤال على الدارك ويب و أقول مين اللي جاي يقتلها و معلش؟
- طب تقدر تبعتلها بيتكوينز تديهم للناس دي؟
- هي عليها كام بيتكوين
- 200 ألف.
- كاااااااااااام!
- هي كان عليها خمستلاف بس، لكن مع كل تأخير و معاد بتخلفه كان بيتضاعف و يزيد..
- إنت عارف يعني إيه 200 ألف بيتكوين!
- معرفش يا علي هتعرف تتصرف ولا لأ؟
- هسألك سؤال الأول يا هادي....
- خير؟
- البنت دي تهمك؟ قريبتك يعني أو حاجة؟
- ما إنت عارف كل حاجة عني يا عم و عارف إني مليش قرايب؟
- طب عرفت منين إنك ليك حد في الدارك ويب؟

- .....

زفر علي قائلاً

- أسف يا هادي مش هقدر أساعدك.

و أغلقت المكالمة دون إنذار، أمسك هادي بالهاتف في عصبية و أعاد الإتصال ليسمع الرسالة المسجلة بأن الهاتف مغلق، أعاد الإتصال و جسده يهتز من الغضب و أنفاسه ساخنة تكاد تحرق ما تلمسه ليسمع الرسالة مرة أخرى ليلقي بالنوكيا لحائط فيسقط مهشماً من شدة الغضب قبل أن يقفز هادي في ملابسه متجهاً إلى الكافيه،

***

شعر بحركة و همهمات و شخص ما يتنفس بتهدج، تقلب في فراشه فوجد خيال ضخم على فراش صديقه المجاور، كاد أن يسأل لكنه سمع صوت صديقه يتأوه في ألم.. لم يتحرك و لم يبد ردة فعل، ظل يراقب الخيال و يسمع الأصوات و هو لا يفهم شيئاً من شدة الظلام، نهض الضخم و سحب في يده صديقه متجهين إلى درجات السلم، عند إقترابهم لمحهم الصغير على الفراش، صديقه في يد سامح المشرف اللطيف، جلس الطفل على الفراش و برفق لمس الأرض بقدميه الحافيتين، الفكرة الأولى التي خطرت في باله أن سامح يعطي لصديقه الحلوى في السر، لكن لماذا؟ فضوله ساقه إلى أن يتبعهم، هبط درجات السلم إلى غرفة المخزن و فتح الباب برفق، لم يجد أحد، كاد أن يعود أدراجه قبل أن يسمع صرخة صديقه، صرخة مكتومة، تحرك على أثرها متبعاً مصدر الصرخة ليرى صديقه نصف عاري يجلس على قدم المشرف العاري أيضاً، إتسعت عيناه ذهولاً و تقززاً من المشرف و صديقه، الفكرة التي قفزت في رأسه أن صديقه يفعل ذلك من أجل الحلوى الإضافية و الألعاب ، راقب الفعل حتى إنتفض جسد الضخم فعاد بهدوء إلى الباب و خرج ثم جذب الباب خلفه برفق ليجد يد تجذب الباب من يده في الجهة المقابلة.

****

فودكا تجلس في منضدة متطرفة غير طاولتها المعتادة، ترتدي فستان بنفسجي قصيرعاري الكتفين و قد بدلت مساحيق تجميلها السوداء إلى اللون الأحمر و درجاته، و نزعت عنها الكثير من الحلقان المعدنية التي كانت تخترق أنحاء جسدها ، كانت جميلة بحق، أرادت أن تفاجئ هادي و ترى هل سيعرفها وحده أم لا؟ رأته يدخل الكافيه متعجلاً و يقف في منتصف الصالة يبحث بعينيه ، أرادت أن تقف و تخبره أنها هنا لكنها تخلت عن هذه الفكرة حين تلاقت أعينهم لثانية و أشاح بوجهه باحثاً عن شخص او شئ ما، تقدم إليه خالد مسرعاً و همس بشئ ما في أذنه ليتجه هادي إلى باب غرفة العاملين. تلفت حوله مطمئناً قبل أن يخرج مفتاح من جيبه و يفتح الباب و يعبره لتتوقف فودكا فجأة! تركت أشيائها على الطاولة و إتجهت إلى غرفة العاملين، لاحظها خالد من بعيد فهرول ليلحق بها لكنه لم يصل في الوقت المناسب، وقفت فودكا أمام الباب ممسكة بضلفته التي جذبتها لترى هادي يقف في الغرفة و في حضنه .. إيلين!

حين شعر بالباب ينجذب من يده إرتعد و تركه ليجد نفسه في مواجهة صديقه ، عين بعين، لاحظ أن صديقه يبكي و دموعه تنهمر قبل أن يتركه و يركض صاعداً، وقف ذاهلاً أمام الباب ليسمع سعال المشرف فركض لفراشه هو الأخر، سمع صوت صديقه في الفراش المجاور و هو ينتحب كاتماً صوته في الوسادة، ربط الأحداث و فهم ما يجري حين يسمع بكائه كل عدة أيام، شعر بالغضب يحرق صدره و بالأسف على صديقه و بكره نفسه الذي ظنت بصديقه الظنون، لم ينم تلك الليلة كذلك صديقه المجاور حتى أشرقت الشمس و إستيقظ الجميع، طوال اليوم حاول صديقه إجتنابه و كلما تلاقت نظراتهم أشاحوا بوجههم بعيداً، الأول و من الكسرة و الإحراج الذي يشعر بهم حين تأكد أن صديقه قد شاهد ما يحدث فيه، و الآخر أشاح بوجهه لأنه لا يعرف ماذا عليه أن يقول ، ظل الإثنان يتجنبون بعضهم طوال اليوم حتى ظهر سامح المشرف، يقف بشكله المقزز مبتسماً و الأطفال تتهافت عليه بينما هو يحمل أحدهم و يقبل الآخر و يضحك معهم و يمزحهم بينما يقف الصديقين كل منهم في جهة ناظرين له نفس النظرة.

****

إتسعت عيني فودكا و هي ترى هادي يقف موالياً ظهره للباب و بيد يديه إيلين ، يحتضنها بنفس اليد التي تحضنها بها، و

على وجه إيلين نظرة راحة و إطمئنان و هي تدفع نفسها بقوة إلى حضنه، تذكرت فودكا رائحة هادي و كل لحظاتهم سوياً، أمسك خالد بيدها و سحبها فإنسحبت، قال خالد شيئاً ما لكنها لم تسمعه، عادت إلى طاولتها المعتادة في صمت و هدوء، تجلس شاردة ذاهلة و عينيها تلمع بدمعتان محبوستان تنتظر الفرار، تذكرت لمسته لها، طعم قبلته، شكله و هو نائم، صوته الذي تعشقه، برغم كل ما حدث بينهم و كل ما تغاضت عنه من أجله هو الأن في حضن أخرى!، هل لهذا رفضها مراراً؟ هو لم يخبرها أنه يحبها.. فهل ما فعله يعتبر خيانة؟ تذكرت حين حضرت له كوب النيسكافيه بالمارشميللو.. لم يتفاجئ و لم يتعجب من الفكرة كما فعلت، بل قال نفس الجملة التي تقولها إيلين، (دة دلع إضافي!) كيف كانت حمقاء و لم تنتبه لهذاحينها!

تقدم خالد و وضع أمامها كوب البابونج الخاص بها ثم عاد للطاولة التي كانت تجلس عليها و نقل حاجيتها إلى طاولتها المعتادة و هي غير منتبهة لكل ما يحدث، في عقلها جملة واحدة تتكرر (إنتي السبب، إنتي اللي سمحتي إن كل دة يحصل)

شعرت بيد تلمس كتفها فإنتبهت لتجده خالد، مسحت دموعها قبل أن تقول بصوت مازال يبكي:

- إيه يا خالد؟
- أنا عايز أقولك إيه اللي حصل يا فودكا..
- مفيش حاجة حصلت و متحكيليش حاجة، و إتفضل شوف شغلك مش هتصاحبني.

ربت على يدها قبل أن ينسحب في هدوء، نظرت للباب لتجده كما كان، إنهم في الداخل كل هذا الوقت، فتحت اللابتوب الخاص بها و جرت يدها على الأزرار حتى تغيرت ملامح وجهها إلى التركيز الشديد قبل أن تنهض دفعة واحدة و تخطف أشيائها و تركض بفستانها و كحل عينيها سائلاً على وجنتيها.

****

تممت المشرفة صفاء على الأطفال في أسرّتهم ثم أطفأت الأنوار و ذهبت، نصف ساعة مرت قبل أن يتأكد الصديق بأن الجميع ذهب في سباته، لمس الأرض الباردة بقدميه الحافيتين و تمشى بهدوء حتى وصل للباب، تمشى في الطرقة و هبط الدرج حتى أصبح أمام غرفة المخزن، حاول فتح الباب فوجده موصداً، بكن تسرب لأذنه ضحكة أنثوية من الداخل، ضحكة ليست برئة! ركض على الدرج و أختبأ في ظلام الطرقة، ظل ساكناً لنصف ساعة حتى سمع الباب ينفتح و يراهم! المشرف سامح مع إحدى المتطوعات! ما هذا العبث! تلك المتطوعة رقيقة حنونة يعشقها الأطفال و تعشقهم! شعر بغصة في قلبه و تصاعد الدم في رأسه و هو يرى كل من كان يثق بهم ينهارون واحداً تلو الآخر، ظل في مكانه حتى غادرت المتطوعة و عاد سامح بعد ان أغلق باب الدار، تمشى في الطرقة يدندن إحدى الأغاني العتيقة قبل أن يدلف لمكتب المشرفين، تسلل على درجات السلم حتى وصل إلى الباب، دفعه فإنفتح، دخل و بحث عن مكان ليختبئ فيه دون أن يلاحظه أحد، ظل في مكانه منتظراً حتى غلبه النوم.

****

أمسك هادي بذراعي إيلين باعداً إياها عنه حين شعر أنها إطمئنت، جلس و أجلسها على المقعد العريض بالغرفة قائلاً:

- إنتي كويسة؟ فيه إيه؟

لم ترد، عبثت في شاشة هاتفها و عرضت عليه صورة من مجموعة صور إلتقطت لها أثناء نومها، صور تم إلتقاطها من داخل غرفة نومها ! ثم عدة صور لها في الشاوارع المحاورة للكافيه، ثم صورة أخيرة لها تجلس في الجافيه، بنفس الملابس، على نفس الطاولة التي كانت تجلس بها صباحاً قبل أن يدخلها خالد إلى الغرفة، قال لها بضعة كلمات لتتهدئتها فقالت:

- لقيت حل؟

قال بتردد:

- لحد دلوقتي لأ، بس متقلقيش إنتي هنا في أمان.

عادت الدموع تتجمع في مقلتيها و هي تقول:

- في صورة كمان إنت مشوفتهاش؟
- صورة إيه؟

عبثت في هاتفها ثم ناولته له، الصورة على الشاشة كانت لهادي! جالساً في الكافيه على طاولة فودكا!

***

شعر بيد تدخل أسفل ملابسه و تعبث به، إنتفض مستيقظاً ليجد نفسه مازال في غرفة المخزن، إستوعب أنه كان يحلم لكنه تقزز و كره تلك اللحظة، ظل ساكناً و هو يرسم الخيالات في رأسه قبل أن يجد المشرف عبر الباب ساحباً صديقه الذي يبكي و يتلوى محاولاً الهرب حارصاً على ألا يخرج صوته، بالتأكيد سيلام هو و تطرده ميس صفاء إلى الشارع لينام تحت الكوبري و يشم الكولّا و يدمن المخدرات ثم يأتي أحد تجار الأعضاء ليذبحه و يبيعه ، أوقفه الخنزير أمامه بعد أن جلس هو و بدأ خلع ملابسه، ثم أمسك بيد صديقه و حاول ان يجذبه إليه، إنقض عليه الصديق بصرخة مدوية من الظلام ليرتبك الضخم و يشد بنطاله و باليد الأخرى يحاول كتم الفم الذي يصرخ ، ليخرج الأخر عن صمته الذي دام لأسابيع و يصرخ بكل ما فيه من قوة، ركض الخنزير إلى الباب يحاول أن يوصده ثم يجري على الطفل الأول يحاول كتم فمه الذي يصرخ ثم يحاول كتم فم الآخر، و هم يركضون في إتجاهات مختلفة مشتتينه قبل أن يسمعوا صوت الطرقات على الباب و الأصوات المتسائلة المطّمئنّة، ظل الخنزير يحاول اللحاق بهم حتى تعثر و سقط على ركبتيه لكنه أمسك بقدم الصديق الضحية، ظل يصرخ الطفل محاولاً الإفلات من قبضته لكن الأخر هوى بمطرقة حديدية على رأس الخنزير ليترك صديقه و يضع يده على رأسه ألماً ، هوى الطفل بالمطرقة مرة أخرى ثم أخرى و الضخم يحاول النهوض على ركبتيه تم يستند على ذراعه لكنه بدأ يشعر بالدوار و فقد تركيزه و الطفل مازال يكيل له الضربات ليسقط أرضاً، لا يقوى على التحرك، تقدم الطفل إليه في ثقة و رفع المطرقة بثبات و ضربه بها على رأسه مرة أخرى، رأي في عينيه نظرة إستجداء و طلب للرحمة فزاد حماسه و رفع المطرقة ، رأي نظرة الخوف في عينيه ليزداد حماسه و يرتفع الأدرنالين في دمه مما جعله يهوى بالمطرقة مرة أخرى لتهشم رأس الخنزير ناثرة الدماء في كل مكان، أختلطت رائحة الدم مع رائحة عطر الخنزير القتيل، عطر (فهرنهايت) مما نتج رائحة مميزة عشقها الطفل ذو التي شيرت الأخضر الذي يحمل حرف F ، بينما صديقه ذو التي شيرت الأصفر الذي يحمل صورة بطة نظر لبقعة الدم التي صبغت ملابسه و إتسعت عيناه في رعب، لينكسر الباب و يدخل المشرفين و تتعالى الصرخات.

الفصل الحادي عشر

إتسعت عين هادي و هو ينظر لصورته ! أيا كان من وراء هذا فهو يعلم أنـه يملـك الكافيـه و أن الكافيـه يملـك حصـانة تجعلـه مهما كان قوياً لا يقدر على إقتحام توباكو، هرع إلى غرفته لعد أن أمرها ألا تتحرك ، أمسك بالهاتف و طلب رقم يحفظه عـن ظهر قلب، دقيقة و أجاب سايكو:

- خش عليا بالمصيبة.

حكى له هادي ما حدث بالتفصيل الممل ختم كلامه قائلاً:

- الناس دي تبعك؟
- متباقش عبيط و أمك عرفة ، أنت عارف إن لو انا كان زماني خلصت، ثانياً إنت مزقوق عليك جامد و متركز معاك، إصحى يا هادي و ركز في اللي بتعمله عشان أنا مش فاضيلك لواحدك.
- طل و العمل؟
- خليك جوة الكافيه، الكافيه محدش يقدر يقربله و إنت عارف، متروحش أي حتة يا هادي لا إنت ولا البت اللي معاك.. و أنا هتصرف و أقولك.

أغلق هادي المكالمة ليجد إيلين تقف خلفه مرتعشة، نظر لها بغضب و هو يسحبها للخارج قائلاً:

- أنا مش قولتلك متتحركيش من مكانك.
- خوفت مقدرتش..

و ألقت بنفسها بين أحضانه مغمضة عينيها، تشم رائحته الذكورية المختلطة بعطره المميز، يـدها تلمـس صـدره لتطمـئن لكنهـا شعرت بقلبه ينبض تحت أصابعها، رفعت رأسها لتواجه رأسه فشعرت بأنفاسه الساخنة على شفتيها، إقتربت منه و هي تحرك يدها من صدره إلى بطنه نزولاً ، أغمضت عينيها و مـدت شـفتها و هـي تتـنفس أنفاسـه التـي تقتـرب منهـا، كـادت أن تتعـانق الشفتان لكنه إنتفض و دفعها ، نظرت له غير مستوعبة و قالت:

- أنا أسفة أنا بس من التوتر و الخوف....

قال متفهماً:

- أنا اللي أسف ، بس أنا راجل متجوز و بحب مراتي .

تراجعت عدة خطوات و بدأ صوتها يختنق و هي تقول:

- و الله أنا.. معرفش أنا.. بس.. كنت.. أنا أسفة.
- مفيش حاجة و الله موقف و عدى.
- هنعمل إيه؟
- هنفضل هنا ، طول ما إحنا هنا إحنا في أمان.
- طب ما تقفل الكافيه؟
- لأ طبعاً، مبدأياً كدة لو الكافيه اتقفل يبقى هيخشوا يجيبونا من هنا ، ثانياً الكافي هدة متقفلش لحظة من يوم ما إتفتح.
- أنا مش فاهمة الكافيه دة ليه أمان أوي كدة؟
- حاجة مش مهمة بالنسبالك.

سمع هادي رنين هاتف، إنتبه للنغمة ! تلك النغمة... كيف؟ هرع لغرفة مكتبه و إلتقطت الهاتف ينظر من المتصل.. Private Number!

أجاب هادي المكالمة و وضع الهاتف على أذنه منتظراً صوت المتصل ليجد صوت أنثى يقول:

- هادي أخرج من عندك حالاً.

يعرف هذا الصوت جيداً لكن....! مستحيل!

- مين معايا؟
- أنا فودكا يا هادي إخلص مش وقته..

إتسعت عينيه بلا فهم قائلاً:

- فودكا! إنتي عرفتي الرقم دة إزاي؟
- مش مهم، سيب اللي في إيدك و أخرج من الكافيه تعالالي حالاً، و سيب البت اللي معاك دي جوة متجيبهاش معاك.

لم يفهم ولم يستوعب ، ظل واقفاً بداخل المكتب عبيطاً لا يعرف أين يذهب، إيلين تقف في الخاؤج ناظرة له عبر الباب المنفرج، و فودكا تحدثه الآن ! على هذا الهاتف بالذات! من رقم خاص! الكثير من الأسئلة و علامات التعجب تنبت في رأسه ليوقظه صوت فودكا قائلة:

- هادي إخلص و أخرج من الكافيه حالاً و سيب البت دي عندك.
- طـ... طب فهميني...
- علي هيقتلك يا هادي إخلص.
- علي.....!

نظر هادي لأيلين التي نظرت خلفها في رعب ثم أعادت بصرها إليه بغير فهم، قفزتين و أصبح أمامها، قال لها بإستعجال:

- إيلين خليكي هنا و إوعي تتحركي.

أمسكت في ذراعه و بدأت الدموع تتجمع في عينها فقال هادي و هو يمد خطواته:

- هنا محدش هيقدر يقربلك ، خليكي هنا و أنا هحل الحوار و أجيلك.

تركها و خرج إلى الشارع مهرولاً و الهاتف على أذنه بين أعين كل من في الكافيه، توقف هادي في الشارع قائلاً:

- أجيلك فين يا فودكا.
- ... أنا في بيتك.
- !!

****

يجلس هادي الصغير بين دماءه أمام مكتب مديرة الدار، يسمعهم في كل ما يقولون لكنه الآن يشهر بالهدوء و الإستمتاع كلما تذكر نظرة المشرف تحت المطرقة، يسمع المديرة تتحدث بحزم مع المشرفين قائلة:

- لو بلغنا البوليس هنقوله إيه؟ مشرف بيعتدي عالأطفال! و في طفل من اللي إحنا مسئولين عنهم قتله! عارف إحنا كدة بنقول إيه عن الدار و اللي شغالين فيه؟

- طب الحل إيه يا أستاذة منال؟

صمتت و عدلت من وضع نظارتها قبل أن تميل في مقعدها للأمام و تقول:

- اللي حصل دة ميطلعش برة اللي موجودين في المكتب، هننزل نتصرف في الجثة و الدم بشكل يمسح أي أثر، و هنبلغ مرات سامح كمان يومين إنه مبيجيش بحجة إننا بنتطمن عليه.
- بس...
- مفيش بس، سامح اللي كل الأطفال بيحبوه طلع خنزير ، و غالباً بيستغل حب الأطفال ليه و لطفه معاهم، أنا لو أطول أقطعه بإيدي كنت عملت كدة.
- و العيلين؟
- هنجهزلهم قعدات كتير مع الأخصائية عشان لو الموضوع أثّر عليهم بشكل نفسي، غير كدة مش هنعمل حاجة، و هنحاول نجماهم في عيون أول ناس عايزة تتبنى .

نظرت لهادي قائلة:

- هادي.. تحب يكونلك بابا و ماما و تخرج من هنا؟

نظر لها هادي مبتسماً و هز رأسه في متعة بينما نظرت لسايكو الصغير قائلة:

- و إنت يا يوسف، تحب يكونلك بابا و ماما و تخرج من هنا؟

نظر لها الطفل و هز رأسه نفياً بين دموعه .

****

أدار هادي المفتاح في الباب بحذر ، دفع الباب و دلف بهدوء قبل أن يغلقه خلفه برفق، بحث بعينه عن فودكا فلم يجدها، مد يده أسفل الطاولة و سحب سكين كان قد أخفاها للطوارئ، و أي طواري أكثر مما يحدث الآن، تسرسب على أطراف أصابعه إلى غرفة النوم، فتحها ليجد فودكا نائمة بظهرها على فراشه مقابل الباب ممسكة بألبوم صوره مع أهله في الطفولة.

- فودكا!

إعتدلت ناظرة له لتجده يقف بتحفز و في يده سكين صغيرة فضحكت قائلة:

- هو حقك.. بس كل عيش و سيب السكينة.
- أنا دلوقتي مش فاهم إنتي بتهزري ولا بتتكلمي جد!
- مش مهم، المهم نلحق الموقف و أنا هقعد أشرحلك كل حاجة.
- موقف إيه؟

نهضت و إقتربت منه قائلة:

- علي باعت واحد من الدارك ويب عشان يخلص عليك، و إيلين كانت مجرد تشتيت ليك.
- يعني إيلين معاهم!
- لأ يا هادي ركز، علي ربط الموضوع دة بدة لما إنت قولتله إنك عايز تساعدها و عرف يوصل للي هينفذ، دفع مبلغ كبير مقابل إنك إنت تكون الهدف الأساسي مش إيلين، و اللي حصل بعد كدة إنهم إستغلوا خوفك و إهتمامك بموضوعها عشان إنت اللي تكون الضحية.
- إنتي عرفتي دة كله منين؟

- مش وقته قولتلك، أجهز عشان الراجل جاي...
- راجل مين؟
- اللي هيقتلك ..
- جاي فين!
- جاي هنا..
- إمتى؟
- دلوفتي..

أمسك رسغيها قائلاً:

- ثواني يا فودكا عشان كل دة كتير عليا، إشرحيلي الموضوع بالراحة.
- الراجل اللي علي مأجره عشان يقتلك، جاي هنا دلوقتي..
- إزاي؟
- هو ميعرفش إنك عارف فإنت سابقه بخطوة، إجهز بقى عشان لما ييجي ميغفلكش

****

يجلس الطفل هادي بجانب يوسف في الفناء بينما يلعب باقي الأطفال و يضحكون بصوت عالٍ، نادت المشرفة ثفاء على هادي فسمعها و لم يرد عمداً، نادته مجدداً فتجاهل ندائها تماماً، خرجت المشرفة من الباب إلى الفناء و توقفت خلف هادي قائلة:

- إنت مبتردش عليا ليه يا هادي و أنت سامعني؟

نظر هادي لها بجانب عينه ثم أشاح ببصره مجدداً، أمسكته من ذراعه جذبته برفق لينهض معها، نظرت في عينيه و إبتسمت بحنان و هي تقول:

- عارف مين جاي يزورك النهاردة؟

إتسعت عيناه فرحاً و هو يقول:

- ماما خديجة و بابا رأفت.

ضحكت المشرفة و إحتضنته قائلة:

- إنت بتحبهم يا هادي؟

هز هادي رأسه مؤكداً فقالت:

- طب تحب تروح تعيش معاهم؟

إرتسمت بسمة على وجه هادي و هو يقول:

- أيوة.
- هتسمع الكلام و تبقى شطور؟
- هسمع الكلام و أبقى شطور.

إحتضنته صفاء مودعة قبل أن تمسك يده و تتمشى به في الطرقة المؤدية لمكتب المديرة، طرقت الباب و ما إن إنفتح و لمح هادي رأفت و زوجته يجلسون حتى ركض إلى حضن زوجته لتلتقفه الزوجة في أحضانها مرحبة و مشتاقة، بينما يجلس رأفت في الكرسي المقابل لها مبتسماً، و يجلس أحمد على مقعد بعيد نسبياً عن المكتب يراقب ما يحدث في سعادة بالرغم من أنه عريس جديد لم يفت على زواجه سوى إسبوعٍ واحد!

****

يد ترتدي قفازات جلدية إخترقت المزلاج بأداة من قطعتين لتعبث به برفق و تركيز حتى إستدار المزلاج، بخطوات خافتة دخل ذلك الشبح الأسود، ملامحه غير عربية، دخل في ملابس سوداء إلى شقة هادي ليسمع صوت المياة يأتي من الحمام، يبدو أن هادي يأخذ حماماً ساخناً تهدئة لأعصابه، إقترب من باب الحمام و طرق عدة طرقات و يده تتحسس السكين التي في جيبه، خرج صوت هادي من الحمام قائلاً:

- ثواني يا فودكا لسة مخلصتش.

تفاجئ بما سمع ، لم يكن يعرف أن هناك شخص آخر في الشقة، إرتبك و إلتف يبحث عن غرفة يختبئ بها، فتح أول باب قابله و دلف في الظلام، ظل ساكناً مكانه قبل أن يلاحظ تلك الرائحة، رائحة نفاذة يعلمها جيداً، إنها رائحة الفورمالين! أخرج المصباح اليدوي من جيبه و أضاءه مسلطاً نوره على التفاصيل! دماء! أسلحة! مواد كيميائية، بحث ضريراً على ضوء كشافه عن مفتاح الكهرباء، ما إن ضغط عليه حتى أضيئت الغرفة كاشفة عن التفاصيل.. منضدة تحمل سكاكين تشريح و تقطيع و فصل بجميع الأشكال و الأحجام بجانب كل ما يصلح لقتل كائن حي من منشار يدوي و ساطور و منشار آلي دوار و مقص أعشاب و مقص حداد و أدوات كل الصناعات التي تصلع للتقطيع، و حائط يحمل صوراً لأجساد مقطعة و لحوماً آدمية ممزقة بوحشية، و منضدة صغيرة تحمل زجاجات بداخلها سوائل كيميائية عديدة ، و علب متنوعة من أدوية التخدير و المحاقن، تفصيلة واحدة كانت مختلفة، تلك الفتاة الملقاه على الأرض وسط بركة كبيرة من الدماء ساكنة تماماً ، حين دقق الرجل في التفصيل وجد أن الدماء إنهمرت من رقبتها بعد أن تم ذبحها! إقترب منها يحاول التأكد من موتها.. ساكنة تماماً، مد يده يتحسس نبضها ليفزع حين مدت يدها ممسكة بيده ناظرة لعينيه، من هول المفاجأة نهض مفزوعاً ليجد يد هادي من خلفه تخترق رقبته بمحقن يحمل سائلاً أزرق، إلتف و نظر لهادي قبل أن يسقط أرضاً فاقد الوعي، مد هادي يده لفودكا فتحاملت عليها لتنهض قبل أن يقول:

- أدينا حلينا حوار الراجل دة ممكن بقى نقعد و تفهميني؟
- كل اللي هقدر أقولهولك دلوقتي إني هاكر، نحل موضوع الجحش دة و نقعد نتكلم.

نظر لها نظرة خاوية بعد أن أصبح لا يفاجئه شئ فقالت:

- إخلص يا عم المخضوض .

ليقول بلامبالاة ناظراً للجسد الملقى أرضاً:

- أنا مش هعمل أي حاجة إلا لما أفهم.

زفرت في نفاذ صبر ثم قالت:

- طب أنا هفهمك الموضوع في العام و لما نخلص من كل حاجة هحكيلك بالتفصيل.
- ....

- بص، سكة كدة علي مغفلك كل دة ، هو عامل موقع ريد روم من يوم ما عرفك إسمه Red Bunny Rooms و بيستخدمك في قفل مواقع المنافسين و إثبات جدارة للأرنب عشان اللي يخاف من الموقع دة يروح للموقع الجامد اللي معلم عالباقي.

قال لها في ذهول:

- إيه؟
- مستغرب؟ لأ أفاجئك.. كل الفيديوهات اللي عملتها في الريد رومز و الناس اللي إنت قتلتها كان بيعرضها لايف على الموقع بتاعه هو..
- يا إبن المتنـ..
- هنروحله و نصفي بس نخلص من جحش اللي ممكن يفوق في أي لحظة دة.

نظر لها بإستخفاف قبل أن ينحني عليه و يلطم وجهه ثم ينظر لها قائلاً:

- عيب الكلام دة يا فودكا.

لطمه على خده الآخر ثم الآخر قبل أن ينحني على أذنه و يقضمها جاذباً إياها و ضاغطاً عليها حتى ظهرت الدماء لتلطخ فم هادي و أسنانه، نهض و وقف في مواجهة فودكا قائلاً:

- عيب عليك يا شبح متصغرناش.

فودكا نظرت لوجهه و شفتيه و الدماء تصبغهما و عضت على شفتيها قائلة:

- يخربيت كدة يا هادي.

قبل أن تنتبه و تتمالك نفسها، تنحنحت قائلة:

- هتعمل إيه؟

لم يرد هادي، إنحنى ليمسك بذراعي الملقى أرضاً جاذباً إياه قبل أن تنبت فكرة في عقله جعلته يترك ذراعيه و يلتف لفودكا قائلاً:

- إنتي تعرفي تدخلي على الموقع بتاع علي اللي عالدارك ويب؟

****

خرج علي من دورة المياة عاري الجزع يحك بطنه، فتح الثلاجة المهملة و نظر لما بداخلها، لم يغريه شيئاً، صفع بابها و عبر من فوق الكركايب و المهملات التي تجثو في كل مكان حتى وصل لمكتب عريض يحمل الكثير من الشاشات التي تعرض أشرطة مراقبة و برامج و أكواد، عبث بيديه على لوحة المفاتيح قبل أن يجد إشعار جديد من موقع Red Bunny Rooms، إرتفع حاجبه و هو يفتح نافذة الإشعار على بث مباشر ، من إحدى الغرف الحمراء! على موقعه الخاص! الرجل الذي أرسله لقتل هادي ملقى على طاولة معدنية تتوسط الغرفة، و منضدة صغيرة تحمل سكاكين و أسلحة و كل ما يصلح للتعذيب و التهشيم و التقطيع، ثم يدخل إلى نطاق الكاميرا شخص يرتدي بدلة و قناع أرنب، يتحرك ببطء ناظراً للجسد الساكن أمامه، إتسعت عيني علي غير مصدقاً ما يراه عقله يعجز عن فهم ما يحدث، تحرك الأرنب إلى المنضدة و سحب سكين كبيرة و إتجه ببطء إلى الرجل، امرة الأولى يقف الأرنب في مواجهة الكاميرا بجسده و هو يقتل.. رفع الأرنب يده في الهواء و أعصاب علي تنهار، حرك الأرنب أصابعه على مقبض السكين قبل أن ينظر لعلي! نظر لعلي في عينيه .. هذا ما شعر به علي حين رآة ينظر للكاميرا بتحدٍ، رفع الأرنب جسده على أطراف أصابعه و تشنجت ملامحه و هو يهبط بالنصل لكن

إخترقت الشاشة فتاة ذات شعرٍ أحمر، ترتدي فستان أحمر عاري الظهر، أمسكت بيد الأرنب قبل أن يدفن سكينه في صدر الأسوّد، قبل أن تسحب السكينة من يده و ترفعها هي في الهواء، إلتفت للكاميرا و هزت رأسها يمينا و يساراً بهدوء، قفز قلب علي في صدره و نه مسقطاً المقعد على الأرض حين رأي لي لي التي وضعت يدها اليسرى على بطن الأسود، و سحبت يدها اليمنى للخلف موجهة النصل إلى جانب الرجل الأيسر، كان ذلك قبل أن يخترق شخص ثالث نطاق الكاميرا و يلحق بيدها، إنه هادي! هادي بهيئته العادية! بدون قناع أو شعر مستعار! علي يحرك عينه بين الثلاثة الذين يقفون أمامه في بث حي غير قابل للتعديل البصري، ظل يحرك عينه بين هادي و لي لي و الأرنب و هو يكاد يفقد عقله، مد هادي يده إلى لي لي لتناوله السكين، إلتف هادي هول الطاولة ليواجه الكاميرا و على وجهه نظرة زفر و إنتصار، نظرة بألف كلمة، نظرة عميقة يتجسد فيها الشر المطلق، قبل أن يرفع يده بالسكين و يقف على أطراف أصابعه شاداً جسده بالكامل ، قبل أن يغمض عينيه في إستمتاع و يشم شيئاً ما لم يفهمه علي من خلف الشاشة قبل أن يهوى بالسكين بعنف في صدر الرجل الذي كان من المفترض أن يقتله هو، لتنفجر الدماء ملطخة ملابس الثلاثة الذين إلتفوا للكاميرا و أخذوا يقتربوا منها ببطء و بحركة رتيبة قبل أن يمد الأرنب يده إلى الكاميرا و ينزعها ليظهر شعار بوجه الجوكر يضحك بسخرية، كان ذلك قبل أن تنقطع الكهرباء في شقة علي، قفز قلبه خلف ضلوعه و إقشعر جسده بالكامل، ضريراً تحسس مكتبه ، لوحة مفاتيحه، صدم كوب مهمل على المكتب ليسقط منكسراً و يصدر دوياً عالي جعل علي ينتفض ، تحسس المكتب حتى فتح أحد الأدراج و سحب مسدساً، على طريقة برايل وضع خزنة الرصاص بمكانها شاداً للأجزاء قبل أن يقف متحفزاً ماداً يده أمام صدره بالمسدس جاهزاً ليطلق النار على أول صوت يسمعه أو طيف يعبر من أمامه، بدأ نفسه يعلو و قلبه يركض في صدره يهزه هزاً، بدأ العرق يكسو جسده هو يشعر بشئ ما يقترب، صاح في ظلام و صمت الشقة قائلاً:

- مين؟؟ مين؟؟؟؟؟؟؟؟؟

سمع صوت شئ ما يسقط في إحدى الغرف ليصرخ بهستيريا:

- مييييييين؟؟؟؟؟؟؟

تسرب إلى أذنه صوت أغنية cool hearted Women للمغني Chis Bell تتصاعد من مكان ما بالغرفة ، ضريراً أطلق النار على المكان الذي يخرج الصوت منه ، إقتحم أنفه رائحة البارود قبل أن يهاجم أنفه عطر فهرنهايت! في تلك اللحظة هبط على ليختبئ أسفل مكتبه و هو ينهج و يصبب عرقاً، ظل هكذا لربع ساعة كاملة مرت عليه طويلة ثقيلة، كاد أن بتوقف قلبه من الإنتظار و الرعب، قبل أن تعود الكهرباء و يعود بصره في عينيه، ظل ثوان مغمضاً عينيه التي آلمته حين هاجمها الضوء فجأة، كان ذلك قبل أن يشعر بنفسه يسقط في بئر عميييييق...

رائحة قوية و نفاذة إخترقت صدره كاتمة الأنفاس ليسعل علي بقوة إستجداءاً للهواء، فتح عينه عنوة مع السعال فلمح مروحة سقف فوق رأسه تئن ببطء ، حاول تحريك يديه فأبت تحت وطأة إحساس الخدر الذي مازالت بقاياه في أطرافه، حاول الكلام فوجد فمه صحراء جافة تشققت أرها، بلل شفتيه بلسانه محاولاً بث الحياة فيهم، قال شيئاً ما فتعثرت الحروف عند حلقه قبل أن تسقط مرة أخرى في جوفه، الرؤية مشوشة قليلاً و سقف الغرفة يدور به مع المروحة، شهق طلباً للأكسجين فغمر أنفه رائحة الفهرنهايت، حاول إستراق السمع لكن تلك الصافرة البعيدة التي فيهم تمنع عنه صوت ما يدور في الغرفة، إشتد تادوار عليه فأغمض عينيه بشدة مستجمعاً أخر ما حدث.. حين تذكر بالتفصيل إرتسمت نصف إبتسامة على وجهه قبل أن يفتح عينه ناظراً للسقف.، خرج صوته متحشرجاً و هو يقول:

- براااافو يا هادي، براااااافو، تعرف أنا لو إيدي كانت سايبة كنت سقفتلك.

أتى صوت هادي من مكان ما بالغرفة قائلاً:

- لا هو لو حد محتاج سقفة فعلاً فيبقى إنت يا علي.. ولا أقولك يا عليوة.

ضحك علي ضحكة عالية قائلاً:

- كمااااان، إنا منبهر.

إبتلع ريقه بصعوبة قبل أن يقول بطريقة مسرحية:

- حين ينقلب السحر على الساحر، دة شغل أفلام دة يا هادي.
- مبسوط و إنت هنا؟
- مبسوط بيك يا إبن اللعيبة..

إرتعش صوته للحظة لاحظها هادي:

- دة أنت طلعت عفرييييت يا هادي.

نهض هادي من مقعده بثقة قائلاً:

- إنت فاكر لما تديني إحساس الثقة و إنك مش خايف مش هحس بالمتعة أتطفي؟

إقترب منه و همس في أذنه قائلاً:

- حذر فزر يا عليوة، ثقتك دي بتحطني في وضع التحدي، يعني بتحمسني أكتر.

ظهر الرعب على وجه علي ليكمل هادي:

- لكن أنا هديلك Option مديتهوش لحد قبل كدة.. عايز تموت إزاي؟
- أي حاجة على مزاجك لأخوك، خلي بالك لو الخدمة عجبتني هبقى زبونك.

ضحك هادي قائلاً:

- طب تاخد المفاجئة؟
- هات

أمسك هادي رأسه و لفها إلى الجهة الأخرى ليرى هادي شاشة تحمل عداً تنازلياً فوقها كاميرا بث مباشر، إرتسمت معالم الهلع على وجه علي قائلاً:

- إنت هتعمل إيه؟

5

4

3

قال هادي:

- مبروك يا علي، إنت مباشر على الموقع بتاعك و هيتنفذ فيك كل طلبات الأعضاء.

2

- في سبع مراحل مش خمسة .

1

ظهر على الشاشة جملة (بداية المرحلة الأولى) لتبدأ الطلبات تظهر على الشاشة واحداً تلو الآخر.

****

كافيه توباكو، أحد أرقى كافيهات مدينة نصر.. عملائه الدائمين هم صفوة الشباب.. يتميز بأنه على الطراز القديم.. فلا يوجد به أي مظهر من مظاهر التكنولوجيا.. ديكواراته راقية و الوانه مبهجة ... لا يوجد بـه شاشـات عـرض للمبـاريـات الهامـة.. لا يوجد به ماكينات تصنع القهوة و المشروبات.. لا يوجد به كاميرات مراقبة.. لا يوجد به نظام صـوتي متطـور.. لا يوجـد بـه غير المقاعد و الطاولات الجميلة و الديكورات الرائعة .. كل المشـروبات فيـه تصـنع يـدوياً... تسـتطيع ان تقـول انـه مصـمم لاجبار رواده على التواصل البشري الحقيقي...يمكن لاي احد من رواده اسـتخدام معـداتهم التكنولوجيـة بحريـة.. كـالهواتف و سماعات الراس و الحواسيب المحمولة .. لكن المكان لا يعتمد عليها في اي شئ..

تقدم خالد النادل ليضع كوب البابونج أمام فودكا ، و فنجان القهوة أمام هادي، ثم توجه لطاولة أخرى و وضع كوب النيسكافيه أمام إيلين لتضع فيه قطع المارشميلو، ليعود بعد ذلك و يقف بجانب الباريستا متأهباً لمن يطلـب ، علـى طاولـة فودكـا إرتشـف هادي رشفتين من القهوة قبل أن تقزل فودكا كاسرة للصمت:

- قولي بقى إنت مين؟

نظر لها بسخرية قائلاً:

- خُط الصعيد.

إبتسمت على مزحته قبل أن تقول بجدية:

- لأ بجد، إيه الفرق بين هادي بتاعي و هادي بتاعك؟
- هو نفس الشخص، الفرق الوحيد بينهم إنتي عرفتيه لواحدك.
- خمسة عليا.

ضحك هادي بصوت عالٍ قبل أن يتمالك نفسه و ينظر لها ببسمة جادة قائلا::

- قوليلي بقى، إنتي مين؟
- أنا ريا و سكينة.

لم يبتسم هادي، ظل ناظراً لها بنظرة جادة دون أن ينطق لتقول:

- أصل القصة كليشيه أوي...

إبتلعت البابونج الساخن دفعة واحدة قبل أن تضع الكوب فارغاً أمامها و تزفر بقوة قائلة:

- أنا إتولدت و عيشت في إسكندرية، و إتخرجت من Computer since ، كنت الأولى عالدفعة الأربع سنين، دة اللـي خلاني أشتغل في شركة كبيرة و أنا سني صغير، في يوم وقع تحت إيدي ملفات تـودي فـي داهيـة، ملفـات عـن بـلاوي الشركة دي بتعملها عالـدارك ويـب، و عشـان كنـت صـغيرة و مـش فاهمـة حاولـت أشـغل دمـاغي علـيهم ، و روحـت لصاحب الشركة أهدده باللي وقع في إيدي..
- طبعاً حاول يقتلك..
- بالعكس، حاول يرسم الهدوء و حذرني إن الموضوع أكبر مني لإنه أكبر منه هو شخصياً، لكن أنـا مـرتجعتش.. بعـدها بإسبوع الراجل عمل حادثة و مات، و بدأ يجيلي تهديدات بالقتل و فعلاً بقى يحصل معايا حاجات بغـرض إثبـات إنهـم قريبين ليا و ممكن يطولوني في أي وقت..
- و برضـه مرجعتيش ..

- فعلاً، لكن لما بدأ الموضوع يوصل لأهلي و ألاقي إنهم هما اللي بيحصل معاهم كدة و بيقربوا من الموت كل يوم خفت عليهم، لحد ما أخويا في يوم راجع من الجامعة و عمل حادثة، الميكروباص كله إتقلب بيه و دخل المستشفى، الحمد لله إنه عايش ، و جالي رسالة إن اللي عمل كدة هما و إن دي مجرد قرصة ودن.. ياعتها أنا قررت أموت، موتّني في كل الأوراق الرسمية و عملت لنفسي شخصية و إسم جديد، و نقلت هنا عشان محدش يطولني.. دخلت الدارك ويب عشان أقلب عيشي بس بعيد عن أي حاجة بتأذي حد طبعاً.. في يوم قابلت شاب و قربت منه و لما وثقت فيه حكيتله شوية حاجات بسيطة عني و عن أهلي، و كان الناتج إنه راح يطلبني للجواز منهم في إسكندرية، على أساس غنه بيعملي مفاجأة و كدة.. ميعرفش إنه إتسبب في كارثة، من ساعتها و أنا مبقربش من حد و مبثقش في حد..
- بس وثقتي فيا..
- تعرف إنك أكتر واحد كان قالقني و مخوفني! لما بروح مكان و أرتاح فيه و أبدأ أكون موجودة فيه كتير ببدأ أركب تليفونات كل الناس اللي بتتردد عليه و اللي شغالين فيه عشان محدش فيهم يكون شبح من الماضي؟ و طبعاً توباكو مكان مثالي، مفيهوش تكنولوجيا و أغلب اللي قاعدين فيه مبيستخدموهاش طول القاعدة، فأنا ببقى مسيطرة دايماً، راكبة تليفونات أي حد بيعدي من الباب من غير ما حد يحس ولا ياخد باله..
- و طبعاً لقيتيني باجي كتير و لقيتي إني مش معايا تليفون..
- أنا ملقيتكش إنت شخصياً، في الأول إستغربت أزاي واحد زيك ماشي من غير تليفون ، جيه في دماغي إن المكان كدة كدة مفيهوش تكنولوجيا فإنت بتيجي تريح دماغك خالص منها، فإتعرفت عليك و لقيت إنك ملكش في السوشيال ميديا خالص بكل أنواعها ، و غالباً مبتستخدمش نت أصلاً، دي حاجة طمنتني شوية.. بدأت أتعامل عادي لحد ما بدأ يظهر شعور غريب، عرفت إنك ممكن تكون Expiation من الناس.. دة اللي ودانا لشقتي، كان خلاص الإعجاب زاد لدرجة تخوف، لكن كنت متطمنة و أنا في حضنك.. في مرة و 'حنا قاعدين لمحتك متابع حد بعينك لحد ما خرج مالكافيه، لما دورت وراه عرفت إنه واحد من الريد رومز ..ساعتها شكيت.. قولت لازم أكشفك عالأقل عشان أخد حقي في إني وثقت فيك، لما إديتني الفيزا اللي هي كانت وسيلة أعرف بيها إنت مين ، وصلتني للدارك ويب .. و تاني موصلتنيش ليك إنت .. فالموضوع بقى تحدي.. قولتلك حطيت عليها فلوس و فتحت حوار الدارك ويب عشان تمشي ورايا.. تدور عليا.. و لما تدور عليا أنا اللي هلاقيك.. و برضه ملقيتكش، بس لقيت علي...
- و علي وصلك ليا..
- أنا فضلت أدور ورا علي كتير أصلاً لحد ما لقيت ثغرة صغيرة فشخ وصلتني لكل حاجة، بس كان الوقت عدى و كنت خلاص حبيتك يا هادي، قعدت كام يوم على ما إستوعبت إنت بتعمل إيه و بتعمله ليه.. و لقيت إني مستعدة أتغاضى عن كل دة عشان أبقى معاك.. أنا كمان ليا بلاوي بتحصل غصب عني.. بس و الباقي إنت عارفه..

ظل هادي مستمعاً لها بإنصات، ناظراً في عينيها مبتسماً قبل أن يقول:

- دة إنتي طلعتي مصيبة!
- طلعت قادرة.. مش عشان كل دة، عشان عرفت أوقعك في حبي.

ضحك هادي قائلاً:

- بس أنا موقعتش ولا حاجة.
- باين فشخ في عينيك، لو سألت أي حد معدي هيقولك فودكا..

تبدلت ملامحه مرة أخرى سائلاً:

- مقولتيليش صح، إسمك الحقيقي إيه؟

عبث وجهها و عادت بظهرها في المقعد قائلة:

- اللي يهمك فودكا يا هادي، ملكش دعوة بإسم بيفكرني بفترة مبحبهاش.

عادت إبتسامته قائلاً:

- طب فودكا كام في المية؟

ضحكت بسخف ناظرة له و هي تقول:

- لالالا إنت تتخلي عن روح الكوميديا اللي فيك عشان العسل شاحح.

ضحك بصوت عالي قبل أن يقول:

- يعني لما قولتيلي إنك ليكي في الدارك ويب و تور و بصلة و بتاع كان تضليل؟
- لما أقولك الحقيقة في وشك بطريقة ساذجة هتقتنع إني بكدب حتى لو حلفتلك.
- و لما قولتيلي أنا بحبـ..

قاطعته:

- متخلينيش أرد عليك رد يزعلك، إنت عارف أنا اللي قاهرني إيه؟
- إيه؟
- الفستان و الميك أب و شكلي اللي غيرته و روحت لقيت الهانم في حضنك..

إرتفع حاجبي هادي قائلاً:

- إيه دة؟ إمتى دة!
- اااااة، دة مكانش الحضن الأول بقى1
- أقسم بالله الأول و الأخير دة حتى كان..

بتر عبارته قبل أن ينادي على إيلين:

- إيلين يا إيلين..

إنتفضت فودكا قائلة:

- إنت بتعمل إيه؟

بينما إنتبهت إيلين قائلة:

- أيوة ؟

أشار هادي لفودكا أن تنتظر قبل أن يقول لإيلين:

- تعالي هنا ثواني لو سمحتي.

نهضت إيلين و إنتقلت لطاولتهم فقال هادي:

- فاكرة مراتي اللي قولتلك عليها ؟
- أيوة

إتسعت أعين فودكا قائلة:

- مراتك!

أراح ظهره على المقعد و هو يشير إلى فودكا قائلاً:

- أقدملك يا إيلين.. فودكا، مراتي...

فودكا متفاجئة تنظر لهادي الذي يبتسم في ثقة بينما قالت إيلين:

- إيه دة هي فودكا طلعت مراتك....

نهضت إلين و إحتضنت فودكا قائلة:

- دة نهار أبيض دة، بصراحة جوزك وقف معايا وقفة عمري ما هنساها.

قالت فودكا و هي تلتقط كف هادي في يدها :

- لأ يا حبيبتي جوزي جيه قالي و أنا اللي ساعدتك، لولايا كان زمانك خبر عالفايسبوك

قال هادي ضاحكاً :

- يخربتك، مبنقولش كدة.

نظرت فودكا له قائلة:

- بنقول عادي.

شكرتها إيلين و جلسوا يتمازحون و يتضاحكون، حكت لها إيلين الموقف لتوضح لها الصورة كاملة، لكن من بعيد شخص يقف مراقباً كل ما يحدث، شخص بجانب البار يرتدي الزي الرسمي لعمال الكافيه ، رفع خالد الهاتف على أذنه و قال هامساً:

- أيوة يا سليم، التلاتة قدامي أهم، هادي و إيلين و مريم.

تمت

هادي و سايكو و فودكا لم يكتفوا من تلك الرحلة معك

هم قادمون مجدداً **.لكن هذا إصدار أخر**.

إهداء أخر:

..-. --- .-. -- -.-- .-.. .. - - .-.. . ...- .- -- .--. .. .-. .